

- العرب (الإسرائيلي) من ثورة الشام
- دور بريطانيا في الصراع على سوريا
- الأقليات (١) واقعها ونبذة تاريخية عنها
- محاسبة النفس (١) صورها وأثرها

ثورات العرب وسبل وصاية الغرب عليها:



الإسلام العدل



المنفذ الطائفي



إثارة الأقليات

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية
www.al-waie.org

محتويات العدد:
السنة السابعة والعشرون - العدد ٣١٦
جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ - آذار ٢٠١٣ م

- كلمة الوعي:

ثورات العرب وسبل وصاية الغرب عليها:

- ٣ "الإسلام المعتدل"، وإثارة الأقليات، والفتنة الطائفية
- ١١ - العرب (الإسرائيلي) من الثورة السورية
- ١٩ - دولة الخلافة وما يسمى بالأقليات
- مادام النظام لم يتغير، فالطغاة مازالوا يتكاثرون...
- ٢٨ لكن لا خلاص إلا بالحكم بما أنزل الله في دولة الخلافة
- ٣٠ - أخبار المسلمين في العالم
- ٣٥ - محاسبة النفس (١) صورها وأثرها
- مع القرآن: أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٤١
- ٤٥ - رياض الجنة: عرضه ﷺ الدعوة على بكر
- ٤٦ - فبهدهم اقتده: رجل من أهل الجنة "عبدالله بن سلام"
- ٤٩ - حدائق ذات بهجة
- كلمة أخيرة: سوريا بين المجلس الوطني
- ٥١ والائتلاف الوطني
- غلاف أخير: دور بريطانيا
- ٥٢ في الصراع على سوريا

إلى السادة الكتاب:

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسله، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتحريرها.

ثمن النسخة:

لبنان	: ١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	: ١ يورو
أميركا	: ٢,٥ دولار أميركي
كندا	: ٢,٥ دولار كندي
أستراليا	: ٢,٥ دولار أسترالي
بريطانيا	: ١ جنيه إسترليني
السويد	: ١٥ كورون سويدي
الدانمرك	: ١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	: ١ يورو
سويسرا	: ٢ فرنك سويسري
النمسا	: ١ يورو
باكستان	: ١ دولار أميركي
تركيا	: ١ دولار أميركي
اليمن	: ٤٠ ريال

لإرسال مواضيع للمجلة:

subjects@al-waie.org

للمراسلة:

info@al-waie.org

ثورات العرب وسبل وصاية الغرب عليها الإسلام المعتدل، وإثارة الأقليات، والفتنة الطائفية

تشهد المنطقة العربية حراكاً متميزاً لخلع الأنظمة الفاسدة التابعة للأجنبي،

تفتقد عملية التغيير التي تجري بحماس كبير رؤية واحدة نابعة من عقيدة الأمة وثقافتها وتراثها. فيما يتربص الغرب بها محاولاً فرض وصايته عليها من خلال الإسلام المعتدل، وإخافة الأقليات، وتأجيج الفتنة الطائفية لا سيما بين السنة والشيعة!

تلك الأنظمة التي أرهقت الأمة واستنزفت خيراتها ودمرت مقدراتها وجعلتها لقمة سائغة لمن اشتهى من أعدائها. وفيما نجح البعض في إسقاط بعض العروش المهترئة يتقدم أهل سورية بعزيمة وإصرار لإسقاط طاغوتهم بغتة أكبر وكلفة أشد. وفي كلا الحالتين تشهد عملية التغيير الجارية صعوبات وتعقيدات وتحديات على عدة مستويات.

فعملية التغيير التي تجري بحماس كبير

تفتقد رؤية واحدة نابعة من عقيدة الأمة وثقافتها وتراثها. حيث تفقد القوى التي تتصدر المشهد وتدعي تمثيل الأمة أي رؤية، لدرجة أن البدائل المنظورة والمطروحة تبدو أعجز من الأنظمة السابقة وأسوأ حتى على مستوى تسيير شؤون حياة الناس الاعتيادية اليومية. يحصل كل ذلك فيما يتربص الغرب بهذه العملية، محاولاً احتواءها عبر أدواته الكثيرة، عاملاً على تقديم القوى التي صنعها لتتصدر المشهد وتقود الشارع فكرياً وحركياً وسياسياً وإعلامياً، محاولاً بشكل دؤوب وواضح توجيه هذا الحراك من خلال فرض أجندته على عملية التغيير باحتضان نموذج منحرف عن الإسلام يتجاوب مع تطلعات الناس ويدغدغ مشاعرهم ورغباتهم باسم "الإسلام المعتدل". كذلك أعاد الغرب إثارة موضوع الأقليات وتأجيج هواجس الخوف والرعب لديهم، كي يبقى قادراً على التأثير في توجيه عملية التغيير، كما نشطت مساعيه في إيجاد شرخ واسع بين السنة والشيعة، شرخ يؤجج الأحقاد ويصنع حالة عدوانية بغيضة بينهم، من خلال من يسير في فلك الغرب وسياساته من أنظمة وحكومات ومؤسسات وأحزاب وجمعيات وشخصيات معروفة ومؤثرة.

الإسلام المعتدل

أما "الإسلام المعتدل" الذي تفتخر حركة الأخوان المسلمين بتمثيله وريادته، فإن دوره المرسوم غربياً يتلخص بإحلاله (كونه فكراً غربياً بقشور إسلامية)

يتلخص دور الإسلام المعتدل غربياً بإحلاله بديلاً عن الإسلام الحقيقي المتميز بنظامه السياسي ومعالجاته الأخلاقية والاقتصادية لشتى شؤون الحياة عن أي نظام آخر.

بديلاً عن الإسلام الحقيقي المتميز بنظامه السياسي وبمعالجاته الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية لشتى شؤون الحياة عن أي نظام آخر في العالم، وبالتالي فإن الغرب يتقصد إفشال فكرة الإسلام كنظام حكم من خلال تصوير أن من يؤيدهم ويحتضنهم هم من يمثلون الإسلام، رغم أن هؤلاء يعتمدون معاييرهم وقوانينهم وأنظمتهم، ورغم أن التجربة القائمة بعيدة برمتها عن الإسلام.

وعليه فإن أي إنجاز ممكن لتيار "الإسلام المعتدل" الذي رفع "شعار الإسلام هو الحل" في ظل معطيات الواقع والقوى المتحركة فيه لن يتحقق إلا بعيداً عن الإسلام، ما يعني أن الحل يمكن أن يكون غير إسلامي على عكس الشعار المرفوع، وبالتالي يتم به تكريس فصل الدين عن الحياة. وفي حالة تعقد الوضع وازدياد المشاكل وتراكمها (كما هو جار فعلاً) فسيعزى ذلك إلى قصور الإسلام وعجزه، رغم أن الإسلام كما سبق ذكره بريء من التجربة برمتها، جملة وتفصيلاً.

هكذا يمنح أصحاب "الإسلام المعتدل" خصوم الإسلام الذريعة لإعلان فشل الإسلام كنظام حكم من خلال التجربة العملية، ولإسقاط شعار "الإسلام هو الحل" بأيدي أصحابه، مع أن هذا الفشل (المؤامرة) هو ليس بسبب الإسلام كما يصور الغرب وتنطق أبواقه، وإنما بسبب تحريف الإسلام وكتمان أحكامه الصحيحة، أي بسبب تطويع هؤلاء للإسلام لينسجم مع الثقافة الغربية والتصورات الغربية للحياة ولطريقة العيش، تلك التي تعتمد المصلحة النسبية كزاوية لها في كافة سياساتها ومعالجاتها.

الغريب أن يقبل "الإسلاميون" خوض التجربة على أسس غيرهم وبشروط

هذا الغير وقوانينه، مما أدى إلى ما نشهده من اضطراب ومشاكل وتناذر بين مختلف القوى السياسية وتوجهاتها في مناطق الحراك، وإلى تحويل الصراع من صراع من أجل إقامة الإسلام وتطبيقه إلى صراع من أجل الحصول على السلطة. بهذا الفهم المغلوط للدين والسياسة سار الإسلاميون في تونس ومصر وليبيا واليمن، فاستلموا الحكم بعد أن نحووا الإسلام جانباً، واضطروا لقبول فلول الأنظمة الساقطة ومخلفاتها ليشاركوهم في السلطة وينافسوهم بل ويبتزروهم القرار والتحكم بدفة البلاد في مرحلة دقيقة تلزمهم لتنظيف البلاد من كل ما يشدها إلى القاع أو يربطها بأعدائها فكراً أو اقتصاداً أو سياسة. لذلك كله لم يحاول الإسلاميون إحداث تغييرات

لم يحاول أصحاب الإسلام المعتدل إحداث تغييرات جذرية في الدستور والقانون وفي فلسفة الحكم وسياسات الدولة، وأبقوا البلاد رهينة الغرب ومؤسساته الاستعمارية

حقيقية أو ذات بال في الدستور والقانون وفي فلسفة الحكم وسياسات الدولة، وأبقوا الدولة بين فكي من يفترسها من دول غربية طامعة ومن مؤسسات دولية تشل البلاد والعباد عن النهوض والارتقاء، وتبقيهم عبيداً للقوى الكبرى. كل هذا يقوم به هؤلاء الإسلاميون للأسف بوعي وإدراك، وبذريعة أن هذه هي الطريقة الممكنة للتغيير في ظل هيمنة الدول الكبرى على الأوضاع في بلادنا. لهذا كله لم يكن متوقعاً من هؤلاء تقديم صورة مشرقة للإسلام أو للحل الإسلامي، فكان جل ما قاموا به إجراء تعديلات دستورية وقانونية شكلية لا ترضي الله ولا عباده، ولا تعدو كونها محاولات رخيصة كتلك التي كان يجريها أسلافهم البائسون لشعوبهم بين الفينة والأخرى. كما عجز هؤلاء عن تقديم أنظمة الإسلام وأحكامه ومعالجاته للمجتمع والدولة وللعلاقات مع غيرها من الدول. فساروا على نهج من سبقهم بالاقتراض من البنك الدولي بالربا المحرم شرعاً، وبالتزام معايير صندوق النقد الدولي وسياساته، والتحاكم إلى مجلس الأمن وقوانين الأمم المتحدة وأنظمتها والتعاطي مع قضايا المسلمين العامة على نفس نهج السابقين، حيث تكون العمالة والبراغماتية والتفكير المصلحي النفعي الرخيص هي السائدة، مما جعل رئيس مصر محمد مرسي مثلاً يتعهد التزام وحماية كافة المواثيق والعهود والاتفاقات الدولية، بما فيها

تلك التي تقرّ وتحمي أمن (إسرائيل)، مع الاحتفاظ بسفارتها في قلب القاهرة وحمايتها، ومن ثم استقبال أحمدى نجاد والترحيب به مؤخراً رغم ولوغ إيران في دماء أهل سوريا بشكل علني وبشع.

إثارة الأقليات

عمدت دول الغرب إلى
إذكاء الفتى بذريعة حقوق
الأقليات، وأثارت الخوف
والهلع بين هؤلاء كي تفرض
وصايتها على عملية التغيير.

مع النجاح الملموس في تغيير بعض الحكام باسم
الثورة في عدد من البلدان كتونس ومصر وليبيا،
واستمرار عملية التغيير في بلدان أخرى كسوريا،

عمدت دول الغرب بسرعة إلى تحقيق غاية رئيسية (قديمة-جديدة) لها في
مسار هذه الثورات، وهي إذكاء الفتى والصراعات الداخلية وكأنها نتيجة
تلقائية لها وليست واقعاً دخليلاً مفروضاً عليها؛ فأعادت طرح مشروع صياغة
هذه البلدان (بحسب مصالحها ولضمان وصايتها ونفوذها الاستعماري) من
خلال تفعيل مسألة الأقليات وحقوقها وإثارة الخوف في نفوس غير المسلمين في
البلاد الإسلامية من وصول الإسلام إلى الحكم. وقد ظهرت هذه الاستراتيجية
جلياً من خلال بعض الأعمال التي وقعت في تونس ومصر، ومحاولة إقحامها
في البنية التي ستتبع عن نجاح الثورة في سوريا لتكون في صلب الواقع الذي
ينشأ بعد نجاحها. وقد برز ذلك بتصريحات ساسة الغرب، كقول وزيرة
الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون (في

"أثارت عمليات التغيير
في الشرق الأوسط وشمال
أفريقيا اهتمام العالم لكنها
عرضت الأقليات إلى مخاطر
جديدة." هيلاري كلينتون

٢٠١١/٠٩/١٣م بمناسبة صدور التقرير السنوي
الثالث عشر حول الحرية الدينية في العالم): "أثارت
عمليات التغيير الديمقراطي في الشرق الأوسط
وشمال أفريقيا اهتمام العالم، ولكنها عرّضت
أيضاً الأقليات العرقية والدينية إلى مخاطر جديدة"،

وكقولها عند لقائها وفداً من المعارضة السورية في ٢٠١١/١٢/٠٦م بعد أن
أكّدت على أن التغيير لا ينبغي أن يقف عند حد رحيل نظام بشار الأسد: "هذا
يعني وضع سوريا على طريق القانون وحماية الحقوق العالمية لكل المواطنين
أيّاً كانت طائفهم أو عرقهم أو جنسهم"، وأضافت أن المعارضة تدرك أن

الأقليات السورية بحاجة لطمأننتها إلى أنها ستكون أفضل حالاً "في ظل نظام من التسامح والحرية".

لقد كثر الجدل في الآونة الأخيرة حول موضوع الأقليات وموقف الإسلام منه، وأخذ العلمانيون من بعض غير المسلمين يثيرون هذا الموضوع مؤيدين بتغطية إعلامية كثيفة في مختلف وسائل الإعلام، وخصوصاً منها التي تزعم أنها تعرض كافة الآراء أو الرأي والرأي الآخر، ولكنها في الحقيقة لا تفسح المجال أبداً لأفكار

تدأب وسائل الإعلام
المغرضة على إثارة موضوع
الأقليات فيما لا تفسح
مجالا لأفكار الإسلام
الحقيقية لبيان واقعه.

الإسلام الحقيقية لبيان واقع هذه المسألة وكيفية علاج الإسلام لها، بل تبقي النقاش محصوراً بين طرف علماني متطرف، وطرف آخر علماني يتمسح بالإسلام تمسحاً ولكنه لا يطرح حكم الإسلام. ومع ظهور علامات كثيرة تدل على وقوف الدول الغربية الكبرى وأدواتها في العالم الإسلامي وراء مثل هذه الطروحات، وإضفاء النزاهة المصطنعة على هذا الطرح الخبيث استحضروا أشخاصاً وجهات حيادية في ظاهرها، لا يظهر ارتباطها السياسي بقوى أجنبية ولا نبذها للإسلام (إن لم يكن عداؤها له) وتبدو عليها البراءة، لتثير تخوفها من المستقبل، مستحضرة تشويه المستشرقين للتاريخ الإسلامي وقلب حقائقه والافتراء عليه بأن الإسلام لا يضمن لغير المسلمين حقوقهم، وأنهم سيعانون

يجدر بحملة الدعوة
كشف الأجندة الخبيثة
التي تقف وراء إثارة مفهوم
الأقليات كما ينبغي عليهم
كشف ظروف نشأته وبيان
موقف الإسلام منه

في ظل حكم الإسلام من الإقصاء والظلم والحرمان والملاحقة. وإلى جانب هؤلاء جميعاً أخذ الحكام الذين تنور الأمة لتتنزع سلطانها المغتصب منهم يثيرون مسألة الأقليات محاولين إخافتهم من حكم الإسلام مستعملين هذه القضية أداة ضغط لتثبيت حكمهم وإبعاد الناس عن طريق التغيير الحقيقية، ومتزلفين بها إلى أسيادهم طمعاً في إبقائهم على كراسي الحكم.

ولذلك يجدر بحملة الدعوة الإسلامية كشف هذا العنصر الخبيث في مسار الثورات الجارية، والوقوف عند مفهوم الأقليات وظروف نشأته، وبيان موقف الإسلام من هذه المسألة وكيفية تعامل المسلمين معها تاريخياً، وما

صار إليه الأمر في هذا الزمن الذي نجح فيه الكافر المستعمر بتغييب حكم الإسلام عن الحياة، وكيف استغل الأعداء مسألة الأقليات من قبل، وما نال الأقليات نفسها من جراء إثارة هذه المسألة، وهل نجحت العلمانية في استيعاب التنوع في المجتمعات والدول في بلاد منشئها وفي بلاد المسلمين، وهل الحل لهذه الإشكالية يكمن في العلمانية أم في الإسلام، وأن وجود غير المسلمين في بلاد المسلمين وتحت حكم الإسلام أمر طبيعي، ولم يجد هؤلاء حاجة بهم أو باعثاً لهم لمغادرة ديار الإسلام إلى ديار أخرى تسود فيها أديانهم والسبب شعورهم بالاستقرار والطمأنينة والأمن والانسجام بعيشهم بين المسلمين.

الفتنة الطائفية (السنة والشيعة)

يندرج التقسيم الطائفي عادة تحت عنوان الأقليات، ولكن الشرخ الذي يتم رسمه منذ عقود بين السنة والشيعة والذي أخذ حالة تصاعدية حادة وشرسة في السنوات القليلة الماضية، بات يفصل الفريقين عن بعض سياسياً وفكرياً ومشاعرياً، في عملية أشبه ما تكون بمحاولة لاستيلاء أمة الشيعة مقابل أمة السنة! مما يندّر بخطر شديد سيما مع تحول العلاقة من تشنج فكري وتوتر عصبي واشتباك إعلامي إلى حالة صراع أمني وعسكري دموي كما هو الحال في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن.

وقد انجرّ كثيرون من الطرفين إلى إشعال نار الفتنة وتأجيج الصراع ومحاولة الاستحواذ على السلطة من قبل أحد الفريقين ليتصدى للآخر ولنواياه ومشاريعه العدوانية تجاهه.

ورغم ما يبدو من أن ممثلين من مكونات الطرفين يشاركون في خلق هذه الحالة من الشقاق من خلال استدعاء صراعات تاريخية وإسقاطها على الواقع الحالي، إلا أنّ المتابع الحصيف يدرك أن إيجاد هذا الشرخ يخدم استراتيجية الغرب في تفسيق الأمة

ثمّة محاولات واضحة لخلق شرخ عميق بين السنة والشيعة، مما يندّر بخطر شديد، سيما مع تحول العلاقة من تشنج فكري وتوتر عصبي واشتباك إعلامي إلى حالة صراع أمني وعسكري دموي كما هو الحال في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن.

والحيلولة دون وحدتها ودون استئناف الحياة الإسلامية بالخلافة.

فالنظر إلى أدوات الصراع من دول كإيران والسعودية والأردن والعراق

وغيرها، وما يرتبط بها من منظمات وجمعيات وشخصيات تؤكد أن التدخل الأجنبي هو الذي يريد إيصال الأمور إلى شفير الهاوية. فالدول والمنظمات والشخصيات المنخرطة في هذا الصراع إما عميلة أو متواطئة مأجورة أو انتابتها حالة عصبية عمياء ضربت صميم بصيرتها. يؤكد هذه الحقيقة أن التعايش

الحقيقة التاريخية تشير إلى حالة تعايش قائمة بالفعل بين السنة والشيعة رغم الاختلاف الفكري بينهما، ولم يحصل أن تمت محاولة بعث "أمة السنة" مقابل "أمة الشيعة" على نحو ما يجري الآن، مما يؤكد أن هذا الصراع يخضع لأجندة اجنبية خارجية.

والتصاهر بين السنة والشيعة بمختلف تشعباتهم موجود وقائم بالفعل منذ ١٤٠٠ سنة، وأنه لم يحصل أن تمت محاولة بعث "أمة السنة" ضد "أمة الشيعة" سابقاً على نحو ما يجري تصويره اليوم، مما يشير إلى أن الانقسام الموجود هو انعكاس لرغبة وأجندة تتجاوز الطرفين. كما أنه لم يعد يخفى ارتباط إيران بسياسات أميركا رأس الكفر في أفغانستان والعراق وسوريا ولبنان، ناهيك عن الارتباط العلني لآل سعود بالغرب، بالتالي فإن صراعهما يعكس

أجندة غربية، تشوّه الإسلام من جانب وتصور أنه طائفي دموي لا يصح أن يترك له المجال ليحكم ويتحكم حتى لا يفجر مزيداً من الصراعات الدينية والمذهبية، وأنه إذا كان الإسلام لا يقبل بزعمهم من هو ضمن دائرته فكيف سيقبل بأصحاب الملل والنحل الأخرى! لذلك يفترض الغرب أنه لا بد من فرض الوصاية على الإسلام والمسلمين بذريعة الحيلولة دون وجود دولة تستمد نظامها منه وتؤدي إلى حروب لا تبقي ولا تذر بزعمهم. لا ينفي ما ذكرنا وجود إشكالات وتباينات هنا وهناك بين أتباع المذاهب المختلفة، ولكننا نحاول أن نضع البحث على صعيده الصحيح حتى لا تضيع البوصلة. فالمسلمون جميعاً جزء من أمة واحدة يؤمنون بإله واحد وبقرآن واحد وبنبي واحد وبرسالة واحدة تبتغي نشر الرحمة والطمأنينة بين الناس جميعاً، مسلمين وغير مسلمين. كما أن مظلة الحكم الإسلامي التي تتسع لأصحاب الأديان الأخرى تحتضن من باب أولى كل من يؤمن بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبرسالته.

يعمل الغرب بجد ومثابرة على تشويه الإسلام وعلى صياغة إسلام جديد يصون نفوذه ومصالحه، كما يعمل على ترويض المسلمين وإدارة حراكهم وثوراتهم بأكثر من ذريعة وأكثر من وسيلة وأسلوب. كما أنه يحاول كل جهده للحؤول دون إقامة الدولة الإسلامية وولادة المشروع الإسلامي الذي يرفض الترفيع وأنصاف الحلول وله رؤيته الفريدة في الاقتصاد والسياسة والقيم والتشريع على نحو يغير ما عند الغرب في رأسماليته وديمقراطيته وحرياته وسائر الأصول والفروع؛ لهذا لا بد من الحذر من الطروحات الغربية، فالأمور لا تستقيم إلا بطرح الإسلام كمشروع حضاري جذري واحد للأمة،

فيه الإنقاذ الحقيقي لها، ولا بد من الاستقامة عليه بعزم وثبات كونه التوجه الصحيح لتحقيق موعود نبيها صلى الله عليه وسلم من إقامة الخلافة الراشدة. ولهذا لا بد من مواجهة الغرب بكل ما أمكن من وسائل وأساليب لإحباط مخططاته ومشاريعه وليس السير فيها فضلاً عن تغذيتها. من هنا كان يجب التصدي لمشروع تأجيج الفتن الطائفية المتنقلة بين بلاد المسلمين، وكان لا بد من إعادة طرح الإسلام بشكله وهويته وشريعته وطريقته في الحكم والسياسة، لا بإسلام معتدل أو آخر متطرف، بل بإسلام يصون الأمة ويحميها ويحتضن كل رعايا دولة الخلافة مسلمين وغير مسلمين فيكفل لهم العيش الكريم والأمن والطمأنينة، ولا يعامل رعاياه من غير المسلمين كدخلاء أو طابور خامس، إنما باعتبارهم جزءاً من

لا بد من إعادة طرح الإسلام بشكله وهويته وعقيدته وشريعته وطريقته في الحكم والسياسة حتى يتم لجم وتحجيم الحملة المغرضة عليه. والرهان قائم على إنضاج هذا الطرح وإبرازه للعيان.

أهل البلاد. والرهان قائم على إنضاج هذا الطرح الجامع للأمة وإبرازه للعيان. والله الهادي إلى سواء السبيل. □

العرب (الإسرائيلي) من الثورة السورية

عصام الشيخ غانم

بعد ذلك، وأكدها وزير الدفاع اليهودي إيهود باراك بشكل ضمني في اجتماعات ميونيخ للأمن.

وقبل الغارة (الإسرائيلية) بأيام قليلة صرح نائب رئيس وزراء يهود سلفان شالوم بأنه «إن سيطر المتطرفون في سوريا على الأسلحة الكيماوية، وهم يقتربون من مواقعها في منطقتين في ريف دمشق والسفيرة في حلب، فإن (إسرائيل) ستقوم بضربات عسكرية وقائية»، وقال نتنياهو أيضاً «إذا ما تم نقل أسلحة كيماوية إلى متطرفين في سوريا فإن هذا شيء خطير للغاية، ولا يمكن لدول العالم التسامح فيه [الجزيرة ٢٨/١/٢٠١٣م]. وقد حصلت كل هذه التطورات في الأسابيع الأخيرة بعد أن كان ساسة يهود يعلنون اطمئنانهم بأن النظام السوري لا يزال يسيطر على الأسلحة الكيماوية، وكان ذلك على أثر موجة الهجمات الجريئة التي شنّها الثوار السوريون على مواقع النظام في كافة أنحاء سوريا، واستولوا من خلالها على مواقع عسكرية جديدة، وغنموا من

فرضت الثورة السورية نمطاً جديداً في التفكير السياسي والاستراتيجي لدى الساسة وأصحاب الرأي في دولة يهود، صحيح أن الثورة السورية- وهي أم الثورات في المنطقة العربية- قد صعقت تفكير السياسيين في المنطقة وحول العالم، إلا أن تأثيرها في دولة يهود صار يأخذ منحىً انقلابياً. وقد اضطر الساسة اليهود للخروج عن صمتهم المعتاد، فكشفت مصادر يهودية نبأ الاجتماع السري الذي عقده رئيس الوزراء نتنياهو مع ملك الأردن في عمان بخصوص تطورات الأوضاع في سورية، واللافت أن هذا الاجتماع كان مطولاً وتم فيه بحث خرائط محددة، ويرجح أن نتنياهو كان يطلب من الأردن استخدام سلاح الجو (الإسرائيلي) للأجواء الأردنية في قصف سوريا، وسرت إشاعات بأن المالكي رئيس وزراء العراق قد حضر هذا الاجتماع أيضاً. وبعد الاجتماع بأيام قامت طائرات (إسرائيلية) بالإغارة على منطقة في ريف دمشق كشفتها الصحف الأميركية، وأعلن عنها النظام السوري

نتنياهو الانتخابية، وعلى عكس كافة التوقعات، لم تركز أبداً على البرنامج النووي الإيراني كما كان معتاداً منه، وهذا مؤشر واضح على الانقلاب الكبير الذي أحدثته الثورة السورية في العقلية الأمنية والسياسية لدى ساسة يهود. ولفهم حقيقة هذا الانقلاب ومداه، سنورد الحقائق السياسية التالية:

١. يحلو للبعض أن يتشدد بالممانعة والمقاومة والدور السوري المركزي في ذلك، تعلم (إسرائيل) أن كل ذلك هو للاستهلاك العربي المحلي، وما يهم (إسرائيل) هو حقائق أن حدودها مع سوريا كانت هي الأكثر هدوءاً منذ سنة ١٩٦٧م، وكلما كانت (إسرائيل) تفحص حقيقة الموقف السوري عن طريق القصف الجوي منذ زمن حافظ الأسد وابنه في مرات متعددة، وبالتأكيد لم يكن آخرها قصفها لما وصفته بالمفاعل النووي الذي كانت تقوم كوريا الشمالية ببنائه لسوريا في دير الزور، كانت- أي (إسرائيل)- تسمع نفس الأسطوانة المهرثة: «سنرد في الزمان والمكان المناسب».

٢. كانت (إسرائيل) ولا تزال تنظر إلى القوة العسكرية السورية بخوف كبير، لكن ليس خوفها من مغامرات الأسد الذي جالسها في عدة لقاءات علنية برعاية تركية، ناهيك عن اللقاءات السرية، من أجل إيجاد حل لموضوع الجولان، لكن (إسرائيل) تخشى من

الذخائر والسلاح ما يمكنهم من مواصلة المعارك لإسقاط الأسد بثقة أكبر، ونقلت مصادر عن الجيش (الإسرائيلي) في ٢٠١٣/٢/٢٢م «بأن الجيش السوري يقوم بسحب قواته من خطوط التماس في منطقة الجولان لتعزيزها في دمشق»، وكأن تلك المصادر تقول تاركاً الجيش (الإسرائيلي) أمام المجهول.

وأشار إلى ذلك الكاتب الأميركي توماس فريدمان، وقال في مقال نشرته له صحيفة نيويورك تايمز الأميركية واقتطعت الجزيرة نت مقتطفات منه في ٢٠١٣/٢/١٠م، وأضاف «إن بعض الجنرالات الإسرائيليين يرون الحرب المستمرة في سوريا خطراً استراتيجياً عظيماً يهدد إسرائيل بنفس الدرجة التي يشكلها خطر البرنامج النووي الإيراني عليها». وأوضح أنه «إذا ما تحولت سوريا إلى أفغانستان أخرى على الحدود الإسرائيلية، فإن الأرض السورية ستصبح بؤرة تعجّ بالجهاديين وبالأسلحة الكيميائية وبصواريخ أرض جو، وكلها تنتشر بحرية في كل الأرجاء في الجوار الإسرائيلي في المنطقة».

وقد ذكرت وسائل إعلام عربية نقلاً عن مصادر يهودية بأن زيارة الرئيس أوباما المزمعة في الربيع إلى (إسرائيل) سوف تركز على بحث أثر الأوضاع المتفجرة في سوريا على (إسرائيل) بالإضافة إلى البرنامج النووي الإيراني. وكان لافتاً لكافة المراقبين أن حملة

وهذه أسطورة تاريخية قد صنعتها لهم الهزائم المذلة لحكام العصر الجبري في مصر والأردن وسوريا ولبنان وغيرها، وبتغطية إنجليزية وأوروبية أولاً، ثم بتغطية أميركية، لكن اليهود قد أخذوا يتحدثون بأنفسهم عن انهيار نظرية الردع (الإسرائيلية)، وبدأ الحديث عن ذلك في ما يسمونه بالنزاعات منخفضة التوتر كالانتفاضات الفلسطينية التي كسرت الرعب العربي من الجيش اليهودي، ذلك الرعب الذي صنعه حكام سوريا ولبنان ومصر والأردن بتخاذلهم عن المنازلة والهزائم المتتالية أمام جيش يهود وكأنه جيش لا يقهر، لكن الحقيقة التي أذهلت اليهود هي أن نظرية الردع (الإسرائيلية) هذه قد سقطت أيضاً في النزاعات متوسطة القوة كالتى خاضتها (إسرائيل) في لبنان ٢٠٠٦م وفي غزة ٢٠٠٨م و٢٠٠٩م و٢٠١٢م، ويعلم اليهود بأن سقوط هذه النظرية في حرب شاملة إنما يعني تلاشي دولة يهود، وأن تصبح أثراً بعد عين. لكل ذلك، فإن نمطاً من التفكير الحربي قد نما لدى السياسة اليهود وأسموه "حرب يأجوج ومأجوج" بداية بالبرنامج النووي الإيراني، وبعدها الربيع المصري قبل أن يتضح لهم أن أميركا لا تزال تمسك بزمam الأمور في مصر، وأخيراً بالثورة السورية، وعلى الأرجح أنه سيستقر في مخاطرها المتزايدة، ولن يخرج منها. أي أن السياسة (الإسرائيلية) ستبقى في الشمال، وسوف

أن يتسبب انقلاب عسكري بوقوع هذه القوة العسكرية بأيدي مخلصين، ولا شك أيضاً بأنها تولي اعتباراً وإن أقل درجة لاحتمال استخدام جزئي لهذه القوة وفق السياسات الأميركية التي تقتضي أحياناً تأديب (إسرائيل)، كما في توريطها في حرب ٢٠٠٦م في لبنان، والتي أخذت (إسرائيل) خلالها تستجدي أميركا لإنقاذها بتزويدها بالذخيرة التي نفذت، وبحفظ ماء وجهها عن طريق وقف إطلاق النار بقرار من مجلس الأمن لا بقرار (إسرائيلي)، الأمر الذي ماطلت فيه أميركا كثيراً من أجل إتاحة الفرصة لليهود ليدركوا بأن أمن دولتهم هو بيد أميركا، ويجب على (إسرائيل) التخلص من النزاعات الاستقلالية عن أميركا لدى بعض ساستها.

٣. يدرك العارفون بالعقلية الحاكمة في (إسرائيل) بأنها تفكر ببعيد واحد هو الأمن، وأن هذه العقلية العرجاء لا شك بأنها الآن ترتجف من احتمال أن يمسك بزمam القوة السورية مخلصون، لا سيما بعد أن فشلت كافة السياسات الأميركية والأوروبية بوضع الثورة في سوريا تحت السيطرة، وهذا بالتأكيد يشعل المخاطر بقوة في العقلية (الإسرائيلية) التي أخذت في الفترة الأخيرة ترى تكديس غير مسبوق للمخاطر الأمنية الكبرى حول الدولة اليهودية.

٤. يتبجح اليهود بقوة جيشهم دائماً،

أوجدت ضجة كبيرة داخل مصر على أثر دعوته الترحيبية لليهود للعودة إلى مصر. ومن ناحية النظرة الأمنية بعيدة المدى في (إسرائيل) فإنها ترى في مصر خطراً أقل بكثير من سوريا، بسبب الفاصل الصحراوي الكبير في سيناء مما يتيح للجيش (الإسرائيلي) هامشاً كبيراً للحركة قبل أن تصبح الحرب داخل (إسرائيل)، وهذا الفاصل غير متوفر على الجانب السوري.

٦. وأما في سوريا، فقد كان الوضع مغايراً لأوضاع الدول التي عصفت بها الانتفاضات، ففي سوريا كانت ثورة كاملة بكل المعاني الحقيقية للثورة، ولم تلوثها أيدي الناتو كما في ليبيا وتمسك بزماتها، ولم يتمكن الغرب من النفاذ إلى الثورة السورية لتلويثها بالمطالبات التي لا تسمن ولا تغني من جوع كالدولة المدنية وغير ذلك من الشعارات القاتلة للثورة، بل نصعت ثورة سوريا بإسلامها، وزاد على ذلك شدة الوحشية من نظام الأسد، فزاد كل ذلك الثورة إسلاماً ونقاوة وصلابة، وطفئت إلى السطح مطالبها الشمولية بإقامة دولة الإسلام بديلاً عن نظام الأسد. وقد تسربت أنباء من المؤسسة الأمنية (الإسرائيلية) منذ بداية الثورة السورية بأن رأس المشكلة في ثورة سوريا كما تراها (إسرائيل) هي المخاوف من إمساك حزب التحرير بها، ذلك الحزب الذي يختلف عن كافة الأحزاب الأخرى بأن كل أبوابه مقفلة

تستمر المخاطر بالتصاعد حتى تصل الذروة، وحينها تقرر (إسرائيل) خوض حرب شاملة ضد سوريا، وبها تكون نهاية دولة (إسرائيل) بإذن الله.

٥. ترى (إسرائيل) أن المخاطر قد أخذت تتجمع حولها وتتسارع كبير، فلم يكد الساسة اليهود يحصرون المسائل الأمنية متوسطة الخطر لدولة (إسرائيل) بصواريخ غزة وجنوب لبنان، حتى برز البرنامج النووي الإيراني كخطر كبير لا بد من علاجه، وقد انسأقت السياسات (الإسرائيلية) في السنوات القليلة الماضية في محاولة دفع هذا الخطر الإيراني، وكانت أميركا باستمرار تصدّها عن أي هجوم قد تقوم به (إسرائيل) ضد البرنامج النووي الإيراني. وأمام الانتفاضات العربية في مصر وليبيا وتونس وقفت (إسرائيل) مذهولة مما يحدث، ورفضت أن تسميه ربيعاً عربياً، وأطلقت على تلك الانتفاضات شتاءً إسلامياً قارصاً في إشارة إلى تنامي المخاوف (الإسرائيلية) مما يمكن أن تؤل إليه أوضاع تلك الدول لا سيما مصر بعد موجات الاحتجاجات التي اجتاحتها، وترى (إسرائيل) وتدرك تماماً بأن الحكومات "الإسلامية" التي نتجت عن تلك الانتفاضات هي حكومات موالية للغرب تماماً، فعلاقاتها مع مصر لا تزال قائمة، بل إن قادة الإخوان المسلمين في مصر يغازلونها أحياناً إرضاءً لأميركا كما في تصريحات عصام العريان التي

أمام (إسرائيل) وفق تلك التسريبات. والذي يخشاه القاصي والداني اليوم في سوريا هو فعلاً ثورة إسلامية بامتياز، وقد احتضنت فكرة حزب التحرير ونادت بكل صراحة ببناء الخلافة الإسلامية، وعلى ذلك توحدت الكثير من الكتائب والألوية العسكرية المقاتلة في سوريا.

٧. تدرك (إسرائيل) تماماً حجم الخطر القادم من سوريا بسبب وجود ما تسميه "الجهاد العالمي" المتجمع فيها. وحسب النظرة (الإسرائيلية) فإن هذا الوجود يشكل خطراً أكبر من الدرجة المتوسطة ويرتقي للخطر الشامل، حتى ولو نتج عن الأزمة السورية وضع ما يسميه الغرب "الدولة الفاشلة" وأمراء الحرب مع بقاء جزئي للأسد، لأن تلك الجماعات ستبدأ خططها لمهاجمة الأهداف اليهودية، ويخطئ من يظن بأن قادة يهود ينامون ليلهم وهم يشاهدون الكتائب المقاتلة تستولي على الطائرات القتالية في مطار الجراح العسكري بحلب، وكذلك كتائب مقاتلة أخرى وهي تستولي على الغنائم الاستراتيجية بالمقياس العسكري (الإسرائيلي) من مخازن السلاح السوري من صواريخ ومعدات للدفاع الجوي لا سيما في ريف دمشق. بل إن اليهود يخططون لرد فعل مؤكّد؟

وأمام كل هذه الحقائق، وأمام الصورة القاتمة (إسرائيلياً) لمآلات الأوضاع السورية فإن (إسرائيل) تقلّب في كافة الأوراق على الطاولة في محاولة منها لإيجاد طريق النجاة أمام ثورة تزداد قوة فوق قوتها، وإسلاماً فوق إسلامها، ومن الجدير الإشارة إليه أن التفكير (الإسرائيلي) في طريق النجاة يتزامن مع ارتباك دولي شامل من الثورة السورية، وتعلم (إسرائيل) بأنه لا يمكن التعويل على أي من القوى الدولية المرتبطة أصلاً في الموضوع السوري حتى تلتمس طريق نجاتها، هذا إن وجد أصلاً لها هذا الطريق، لكنها بالتأكيد تقلّب الأوراق في محاولة إيجاده والسير فيه. وهي تفكر في طريق نجاتها تحت وطأة المتغيرات الأرضية لصالح الثوار في سوريا، وإذا كنا ندرك طبيعة التفكير (الإسرائيلي) الذي يغلب الناحية الأمنية على ما سواها فإننا ندرك بأن (إسرائيل) ستقع حتماً في خطأ قاتل يؤدي بها إلى ظلمات التاريخ مع مخاوف يهودية متنامية من هولوكوست جديد، لا سيما إذا تمادت في عدوانها على سوريا.

يدرك اليهود بأن الأوضاع في المنطقة الإسلامية قد تغيرت كثيراً ضد ما تشتهي سفن يهود، بل إن بعضهم كان سباقاً إلى توقع المخاطر الشاملة حتى قبل الربيع العربي، فقد سئل الرئيس (الإسرائيلي) شمعون بيرس قبل اندلاع الربيع العربي بستة شهور عن سبب عناية (إسرائيل) بقوة جيشها في الوقت الذي يسود فيه الموات أوضاع الجيوش

من تحديد أنها (إسرائيلية) في الوقت الذي تنهال فيه صواريخ الأسد وقذائفه وغاراته الجوية على القواعد العسكرية التي استولى عليها الثوار.

ويجب أن يكون معلوماً بأن الثورة السورية الناصعة بإسلامها قد دقت كل أجراس الخطر في (إسرائيل) بدرجة أصبح معها البرنامج النووي الإيراني خطراً ثانوياً أمام النيران التي تقترب من شمالها، ومن السذاجة النظر إلى اجتماع نتتهاو مع ملك الأردن بصورة عابرة، فهو اجتماع أمني بامتياز، ويرجح أن الطائرات (الإسرائيلية) تخترق سوريا من جهة الأردن لأغراض المراقبة والتصوير والقصف.

ومع اقتراب لحظة الحقيقة على الساحة الدولية، وهي اللحظة التي ينفذ فيها سياسيو أميركا أيديهم من أي قدرة على الحفاظ على نظام الأسد، وعندما يعلنون فشلهم الصريح بإيجاد بديل عميل لهم مثل معاذ الخطيب في ظل رفض الداخل السوري لأي حوار مع السفاح، فإن الحرب على سوريا قد تكون قيد الإعداد، وإذا كنا ندرك تماماً عجز أميركا عن القيام بهذه الحرب بعد العقدة العراقية وأنها قد أوكلت روسيا بالكثير من المهام الأمنية حول سوريا، فليس من المستبعد إدخال (إسرائيل)، وبشكل مدعوم دولياً على خط الحرب لمنع وقوع الحكم في سوريا بيد الإسلاميين المخلصين، وبالتالي تقلت

العربية، وأن الرؤساء والملوك العرب مسلمين للغاية في العلاقة مع (إسرائيل)، فأجاب ببضع كلمات معبرة خارقة، حيث رد بقوله "في مثل هذا الظرف يظهر صلاح الدين".

وأما كيف يمكن أن تكون السياسة (الإسرائيلية) تجاه الثورة السورية، فإنه يمكن الجزم بأن العقلية الأمنية والضربات العسكرية هي كل ما سيتمخض عن التفكير الأمني (الإسرائيلي) لمواجهة تطورات الأوضاع في سوريا، وإذا كانت (إسرائيل) ومنذ شهور قد بدأت بتحسين حدود احتلالها في الجولان مع سوريا ببناء الجدران والأشياء الأمنية واستبدلت وحداتها التقليدية التي كانت زمن سيطرة الأسد على الجانب الآخر من الحدود بوحدات من نخبة جيشها، وهي تقوم الآن بنصب كمائن افتراضية لهجمات تتوقع أن يقوم بها بين الحين والآخر "جهاديون" من أولئك الذين تتوسع سيطرتهم على الحدود السورية معها، إلا أن استمرار صمود الأسد أمام الثورة يشعل شيئاً من الدفء في صدرها، ولكنها لا تطمئن كثيراً إلى هذا الأمل، فأخذت توسع من نطاق أعمالها العدوانية، وقد بدأت فعلاً تجس النبض في غارتها الأخيرة على ريف دمشق، ويحتمل أنها تقوم بغارات أخرى لاستهداف الأسلحة التي تعتبرها خطيرة في أيدي الثوار، ولا يعلن النظام السوري عن هذه الغارات، ولا يتمكن الثوار

لدى سوريا فوراً، الأمر الذي يلقي رفضاً شديداً في الداخل السوري، وهذا يدفع المراقب للجزم بأن أميركا بصدد سياسة الإخراج من سوريا، لذلك بدأت بنصب صواريخ باتريوت في تركيا للدفاع عن الحدود التركية - بالتأكيد ليس خوفاً من الأسد المتهاوي في الضعف، وإنما خوفاً مما بعد الأسد - والذي يجب أن لا يغيب عن الذهن، أن الكفار يدركون حقيقة النظام الإسلامي القادم في سوريا بعد الأسد، لذلك فإنه ليس من الوارد عندهم ترك مصالحهم للمجهول، وأن سياسات عملية يجري اتخاذها في هذا الإطار.

وإذا كانت أميركا، وهي تفكر بعنفوان "النظام الدولي الجديد" زمن بوش الأب، وتحارب العراق، قد طلبت من (إسرائيل) عدم التدخل رغم الهجمات الصاروخية التي تعرضت لها من صدام حسين، خوفاً من أن تظهر دولة الممانعة - حافظ الأسد - الذي كان يحارب مع أميركا بعشرات الآلاف من الجنود السوريين - و(إسرائيل) في صف واحد، فتتكشف خطة الممانعة والمقاومة الأميركية في المنطقة لهذه الدول. نعم، إن أميركا اليوم ليست بصدد نفس التصرف، وقد احترقت معظم أوراقها في المنطقة، فأمركا الآن لا يمكنها التدخل العسكري القوي - أي إرسال مئات الآلاف من الجنود - بعد العقدة العراقية التي أصابت المجتمع

المنطقة كلها من يد الغرب لمصلحة إقامة دولة الخلافة الراشدة التي ستأكل أخضرهم ويابسهم. وهناك أسباب غير (إسرائيلية) تدفع (إسرائيل) للقيام بمهام عسكرية في سوريا. وهذه الأسباب تتمحور حول الفشل الأميركي في سوريا، وتكاد تكون أميركا قد استخدمت كافة أوراقها الممكنة في سوريا، من تركيا إلى تحريض روسيا ضد قرارات في مجلس الأمن، وإلى بعثات المراقبة العربية والأممية والمبعوثين الدابي وعنان والإبراهيمي والجامعة العربية، والآن مثلث تركيا - مصر - إيران، وكذلك لبنان. وكل هذا المسلسل من الفشل تزامن مع إفلاس للسياسة الأميركية في أخذ تبعية الثوار داخل سوريا، وكذلك المعارضة الخارجية المهترئة التي لا رصيد لها في داخل سوريا، وأخيراً فشل أميركا في حصار الثورة السورية بإمدادات السلاح. وتراقب أميركا بشكل محكم الحدود التركية والأردنية بقواتها. وفي الغرب والشرق فالمسألة موكولة لحزب الله والمالكي؛ وفي مقابل هذا الفشل رأى السوريون أن عناية الله أعظم من مكر أميركا، فكان مددهم من الغنائم التي يغنمونها من قواعد الأسد العسكرية التي يستولي عليها الثوار في المعارك.

وقد ظهر مجموع الفشل الأميركي في مبادرات مفلسة يطرحها الائتلاف السوري الذي أنشاه السفير الأميركي

جوية لا تعلن عنها لضرب أسلحة متطورة تقع بأيدي الثوار وتتسق في ذلك مع أميركا وعن طريقها مع الأسد.

وإذا كان من قدر الله تعالى أن يتجمع هذا العدد الكبير من الأعداء ضد الثورة في سوريا، ويؤيد ذلك حديث الرسول الكريم ﷺ «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ» فإن من طبيعة المؤمنين أن يزدادوا إيماناً بربهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) والمسلمون أهل لصد كل هذه الغزوات، فقد ظهر وهن (إسرائيل) وهي تقاتل في غزة ولبنان، وهي دولة وهنها أكثر من قوتها، وقد يكون انهيارها أسرع بكثير مما يتوقعه كثيرون.

فعسى أن تكون أولى ثمرات سقوط الأسد هو قيام دولة الخلافة الإسلامية، وعندها تتحقق بشرى رسول الله ﷺ حين قال: «ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة» رواه أحمد والتي ستكون أولى ثمراتها القضاء، إن شاء الله تعالى، على دولة يهود، وعندها تتحقق بشرى أخرى لرسول الله ﷺ وذلك حين قال فيما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون». وما ذلك على الله بعزيز □

الأميركي ولم يتعاف منها بعد، وهذا مقرون بحدة الأزمة المالية التي تهدد عظمة أميركا عالمياً -أي ليس في الشرق الأوسط وحده-، فإن أميركا ومعها الغرب سيستخدمون القاعدة العسكرية الكبرى للغرب في المنطقة - أي (إسرائيل) - مع إسنادها بالذخيرة والطيران. ويستبعد أن تكون (إسرائيل) قد قامت بغارتها على ريف دمشق دون إذن أميركا، لأن الصحف الأميركية هي التي كشفت عنها،

إن (إسرائيل) لا شك أنها مرتبكة في تحقيق هذه الأهداف، فسوريا اليوم ليست سوريا الأمس، وقد جرى خلط كبير في خريطة القواعد العسكرية في سوريا، ومعظم المعلومات التي كانت متوفرة لـ (إسرائيل) لم تعد اليوم مهمة في ظل أن سلاح الأسد يستخدم فيما تريده (إسرائيل) من ناحية، والسلاح الذي يستولي عليه الثوار لا تستطيع (إسرائيل) تقييم وضعه بشكل كامل لأسباب متعددة، رغم مراقبتها للتحويلات في الميزان العسكري داخل سوريا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تدخلها الآن سيسرع من انهيار الأسد. لكل ذلك تعيش (إسرائيل) حالة إرباك وعدم ثقة في طريقة التدخل في سوريا والتي تشجعها عليها أميركا، وهي تستمر في جمع المعلومات، وربما تستمر تلك العملية حتى سقوط النظام، لكن لا يوجد ما ينفي أنها ربما تقوم الآن بغارات

دولة الخلافة وما يسمى بالأقليات (١)

ياسين بن علي

نبذة تاريخية

ساد التنوع الدولة الإسلامية الأولى التي أقامها النبي ﷺ في المدينة المنورة لحظة قيامها، فقد وُجد فيها المهاجرون والأنصار، وكان من رعاياها العربي وغير العربي، والمسلم واليهودي والمشرِك، والأوس والخزرج على ما بينهم من عداوة سابقة. وقد أرسى النبي ﷺ أسس العلاقة بين أطراف هذا المجتمع الوليد فيما سمي بوثيقة المدينة، ثم توسعت الدولة الإسلامية لتشمل الجزيرة العربية كلها في حياة النبي ﷺ، وتوسعت في رقعة أكبر بكثير في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم في زمن الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، فازداد بذلك التنوع في الدولة الإسلامية حيث دخل الناس في الإسلام أرسلًا من قبائل وشعوب شتى، وخضع لسلطان دولة الخلافة أصحاب أديان كثيرة لم تكن معروفة في جزيرة العرب، على ما في جميع هؤلاء من اختلاف في العرق واللون واللغة والثقافة والدين.

وكان الغالب في العلاقة بينهم وفي علاقتهم مع الدولة والسلطان الانسجام والتوافق وحسن المعاشرة، ولم تعرف الدولة الإسلامية ولا المجتمع الإسلامي مفهوم الأقليات طوال عهديهما الممتد عبر قرون وقرون من الزمان، إلا ما كان من تسرب هذا المفهوم من الغرب بتخطيط وتدبير من الدول الغربية الطامعة في بلاد المسلمين في أواخر عهود الدولة العثمانية. فالدول الغربية الاستعمارية استغلت عامل القوة المتمثل في التنوع الكثير السائد في الدولة العثمانية وحولته إلى عامل ضعف لضرب الدولة الإسلامية وتفتيتها والقضاء عليها، وذلك بنشر مفهوم الأقليات من ناحية فكرية

وبتبنى بعض «الأقليات» ماديًا ومعنويًا وعسكريًا وتحريضها على الخروج على الدولة العثمانية. وقد ركزت أول الأمر على الشعوب الأوروبية الواقعة تحت سلطان الدولة الإسلامية في البلقان واليونان وغيرهما من المناطق، فأثارت فيهم النزعات القومية والرغبات الانفصالية وأمدتهم بالسلاح والدعم للخروج على هذه الدولة، وعلى النصارى إذ أخذت تتصل بهم محاولة إقناعهم بظلم واقع عليهم من قبل المسلمين ودولتهم وبنقص في حقوقهم، وهكذا تدخلت في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية الأقلية الدينية النصرانية بوصفها امتداداً لهذه الدول من الناحية الدينية. وظلت

ديكتاتورية حكمت الناس لعقود من الزمن بالحديد والنار، ومع النجاح الجزئي للثورات في عدد من البلدان كتونس ومصر وليبيا، واستمرارها في بلدان أخرى كسوريا، فقد ازداد قلق دول الغرب من المستقبل؛ إذ كشفت الأحداث والوقائع المتلاحقة رغبة الناس العارمة في إحلال نظام الإسلام في الحكم محل الأنظمة العلمانية البائدة.

ولأن الثورات في البلدان الإسلامية تبشر بإعادة توحيد هذه البلدان تحت راية واحدة وهي راية الخلافة الإسلامية، سارعت دول الغرب إلى إذكاء الفتن والصراعات الداخلية لحرف مسار الثورات وللوقوف في وجهها؛ فأعادت طرح مشروع تفتيت البلدان من خلال تفعيل مسألة الأقليات وحقوقها وإثارة الخوف في نفوس غير المسلمين في

البلاد الإسلامية من وصول الإسلام إلى الحكم. وقد ظهرت هذه الاستراتيجية جلياً من خلال بعض الأعمال التي وقعت في تونس ومصر وسوريا، ومن خلال تصريحات ساسة الغرب، كقول وزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون (في ١٣/٠٩/٢٠١١م بمناسبة صدور التقرير السنوي الثالث عشر حول الحرية الدينية في العالم): «أثارت عمليات التغيير الديمقراطي في الشرق

هذه الدول سائرة في هذه المسألة حتى استطاعت أن تفتت الدولة العثمانية وتشير فيها الفتن والعداوات إلى أن انتهى الأمر بالقضاء عليها واستعمار أغلب أراضيها من قبل هذه الدول التي لم تراعى في استعمارها حقوق هذه الأقليات المدّعاة؛ فنالها من ظلم المستعمرين وتحكمهم ما نال جيرانها من الأكثريات.

والغريب أن هذه الدول الغربية الاستعمارية لم تتوقف عن إثارة

حولت الدول الغربية الاستعمارية عامل القوة المتمثل في التنوع الكثير السائد في الدولة العثمانية إلى عامل ضعف لضرب الدولة الإسلامية وتفتيتها والقضاء عليها، ولذلك قامت بجهد كبير لنشر مفهوم الأقليات كمجموعات بشرية مضطهدة وإثارتها كقضية إنسانية، كما قامت بتبني بعض «الأقليات» ثقافياً وسياسياً وعسكرياً وتحريضها على الخروج على الدولة العثمانية.

«الأقليات» العرقية والدينية واللغوية بعد أن استعمرت بلاد المسلمين، بل أخذت بتغذيتها وتركيزها إعداداً للمرحلة القادمة التي تمثلت في إقامة دول قومية ووطنية علمانية على أنقاض الدولة العثمانية التي حرصت في رسم حدودها على جعل عامل الأقليات سبباً حاضراً للتدخل

في شؤون هذه الدول والسيطرة عليها، ولإيجاد المتاعب لها وإثارة مسألة الأقليات كلما اقتضت الحاجة. والأعوام التسعون المنصرمة مليئة بالأمثلة على استغلال موضوع الأقليات من أجل فرض أجندات استعمارية على البلاد العربية والإسلامية وبلاد ما يسمى بالعالم الثالث على وجه العموم.

واليوم، وقد شهد العالم الإسلامي موجة من الثورات أطاحت بأنظمة

فرنسا وبأعلى درجات الحزم في إدانة أعمال العنف الموجهة ضد المسيحيين في المنطقة، لاسيما في العراق أو مصر حيث أدنا أمس الأحداث في القاهرة التي تسببت في سقوط العديد من القتلى والجرحى، كما سبق وأشرتم... يقدر الربيع العربي ويتعين عليه أن يشكل فرصة تاريخية لهذه الطوائف في الشرق الأدنى. وعلى الربيع العربي أن يسمح لهم بالقيام بكل ما يعود لهم في بناء الديمقراطية. هذا ما ذهبت لقوله مساء أمس في قاعة الأوديون، بحضور معارضين سوريين والعديد من المثقفين السوريين والسوريات. ونصارع أيضاً على المستوى الأوروبي. ولقد اتخذ مجلس الشؤون الخارجية في شهر شباط/ فبراير الماضي موقفاً حازماً جداً ضد التعصب والتمييز

”أنتم على حق في التذكير بأن المسيحيين موجودون في الشرق منذ السنوات الأولى للمسيحية، حتى قبل دعوة النبي محمد.. ولا يمكننا القبول بأن يزول من هذا الجزء من العالم هذا التنوع الإنساني والثقافي والديني الذي هو مقياس في فرنسا وأوروبا. لذلك يتعين على الربيع العربي أن يشكل فرصة تاريخية لهذه الطوائف في الشرق الأدنى“ ألان جوبيه

الأوسط وشمال أفريقيا اهتمام العالم، ولكنها عرضت أيضاً الأقليات العرقية والدينية إلى مخاطر جديدة»، وكقولها عند لقاءها وفداً من المعارضة السورية في ٢٠١١/١٢/٠٦م بعد أن أكدت على أن التغيير لا ينبغي أن يقف عند حد رحيل نظام بشار الأسد: «هذا يعني وضع سوريا على طريق القانون وحماية الحقوق العالمية لكل المواطنين أياً كانت طائفتهم أو عرقهم أو جنسهم»، وأضافت أن المعارضة تدرك أن الأقليات السورية بحاجة لطمأننتها إلى أنها ستكون أفضل حالاً «في ظل نظام من التسامح والحرية». وكقول وزير الخارجية الفرنسي السابق آلان جوبيه (في ٢٠١١/١٠/١١م في مداخلة أمام الجمعية الوطنية حول وضع مسيحيي الشرق): «أنتم على حق في التذكير

الديني. هذا هو خطنا الذي سنواصل الدفاع عنه. أذكركم بأن رئيس الوزراء كلف السيد أدريان غوتيرون بمهمة في الشرق، وبالتحديد للنظر في وضع الأقليات المسيحية والسماح لنا بتعزيز مواقفنا في هذا الميدان».

لقد كثر الجدل في الآونة الأخيرة حول موضوع الأقليات وموقف الإسلام منه، وأخذ العلمانيون من أصحاب الأصول الإسلامية وبعض الناس من غير

بأن المسيحيين موجودون في الشرق منذ السنوات الأولى للمسيحية، حتى قبل دعوة النبي محمد. ولقد صرح رئيس الجمهورية أثناء تقديمه التهاني للسلطات الدينية، في السابع من كانون الثاني/ يناير الماضي، «بأنه لا يمكننا القبول بأن يزول من هذا الجزء من العالم هذا التنوع الإنساني والثقافي والديني الذي هو مقياس في فرنسا وأوروبا». كما تعرفون، يا سيادة النائب، استمرت

أصناف الجور والعذاب، أخذوا يثيرون مسألة الأقليات محاولين إخافتها من حكم الإسلام مستعملين هذه القضية أداة ضغط لتثبيت حكمهم وإبعاد الناس عن طريق التغيير الحقيقية، متزلفين بها إلى أسيادهم الغربيين طمعاً في إبقائهم على كراسي الحكم.

ولذلك يجدر بنا الوقوف عند مفهوم الأقليات وظروف نشأته، ومعرفة موقف الإسلام من هذه المسألة،

وكيفية تعامل المسلمين معها فيما مضى من تاريخهم، وما صار إليه الأمر في حاضرهم، وكيف استثمرت مسألة الأقليات من قبل الأعداء، وما نال الأقليات نفسها من جراء إثارة هذه المسألة، وهل نجحت العلمانية في استيعاب التنوع في المجتمعات والدول في بلاد منشئها وفي بلاد المسلمين، وهل الحل لهذا الإشكالية يكمن في العلمانية أم في الإسلام.

مفهوم الأقليات

لفظ الأقلية ترجمة لفظ أجنبي، وهو مأخوذ في العربية من مادة «قل» ومن المعاني المذكورة تحت هذه المادة كما في اللسان: «القلة خلاف الكثرة والقل: خلاف الكثر» و «القل: القلة

المسلمين يثيرون هذا الموضوع مؤيدين بتغطية إعلامية كثيفة في مختلف وسائل الإعلام وفي الفضائيات وخصوصاً منها «ذات الرأين» التي لا تفسح المجال أبداً أمام من يطرح أفكار الإسلام ليبين للناس واقع هذه المسألة وكيفية علاج الإسلام لها، بل تبقي النقاش محصوراً بين طرف علماني متطرف وطرف آخر علماني «غير متطرف» يتمسح في أفضل أحواله بمسحة الإسلام ولكنه لا يطرح

يجدر الوقوف عند مفهوم الأقليات وظروف نشأته، ومعرفة موقف الإسلام من هذه المسألة، وكيفية تعامل المسلمين معها فيما مضى من تاريخهم، وما صار إليه الأمر في حاضرهم، وكيف استثمرت مسألة الأقليات من قبل الأعداء، وما نال الأقليات نفسها من جراء إثارة هذه المسألة، وهل نجحت العلمانية في استيعاب التنوع في المجتمعات والدول؟

رأي الإسلام. ومع ظهور علامات كثيرة تدل على وقوف الدول الغربية الكبرى وأدواتها في العالم الإسلامي وراء مثل هذه الطروحات، إلا أن الأمر لا يخلو من وجود أشخاص وجهات لا تقف وراءها بالضرورة قوى أجنبية غربية بل يدفعها إلى ذلك تخوفها من المستقبل لما استقر في ذهنها جراء

الهجمة الشرسة على مفاهيم الإسلام وأحكامه، وجراء تشويه التاريخ الإسلامي وقلب حقائقه من أن الإسلام لا يضمن لغير المسلمين حقوقهم وأنهم سيعانون في ظل حكم الإسلام وفي دولة الخلافة من الإقصاء والظلم والحرمان والملاحقة. وإلى جانب هؤلاء جميعاً أخذ الحكام الذين تثور الأمة ضدهم لتتزع سلطانتها المغتصب منهم بعد أن أذاقوها

مثل الذل والذلة» و «القليل من الرجال: القصير الدقيق الجثة» و «القل من الرجال: الخسيس الدين» و «أقل: افتقر. والإقلال: قلة الجدة». وهناك معانٍ أخرى بعيدة جداً عن المراد بلفظ الأقلية في هذا السياق، وهذه المعاني التي ذكرناها وإن كان لها صلة من وجه ما بلفظ الأقلية غير أنها لا تبيّن ولا توضّح واقعه، ولم نقف على تعريف للمسلمين لهذا المصطلح؛ لأنه لم يكن

معروفاً لديهم. أما عند الغربيين فقد وردت له تعريفات كثيرة، فقد عرّف «معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية» الأقلية بأنهم: «مجموعة من رعايا دولة ما تنتمي من حيث الجنس أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية السكان... وتتنحصر الأقليات عادة بالمساواة

لم نقف على تعريف للمسلمين لهذا المصطلح؛ لأنه لم يكن معروفاً لديهم. أما عند الغربيين فقد وردت له تعريفات كثيرة مثلاً: «الأقلية هي جماعة من الأفراد الذين يتميزون عن بقية أفراد المجتمع عرقياً أو قومياً أو دينياً أو لغوياً، وهم يعانون من نقص نسبي في القوة، ومن ثمّ فهم يخضعون لبعض أنواع الاستعباد والاضطهاد والمعاملة التمييزية»

وحماية الأقليات سنة ١٩٥٠م بتبني مشروع لائحة لتعريف الأقليات في دورتها الثالثة وعدّلته في دورتها الرابعة، بيّنت فيه أن: «الجماعات التي تعرف عادة بأنها أقلية قد تنتمي إلى أصل عرقي، قد يكون لها تقاليد دينية أو لغوية أو خصائص معينة تختلف عن خصائص بقية السكان. ومثل هذه الجماعات ينبغي حمايتها بإجراءات خاصة على المستويين

مع الأغلبية في الحقوق المدنية والسياسية وفي حرية إقامة شعائرها الدينية، كما تطالب أحياناً بفتح مدارس خاصة لأبنائها وتعليم لغتها». وعرّفت «الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية» الأقلية بأنها: «جماعة من الأفراد الذين يتميزون عن بقية أفراد المجتمع عرقياً أو قومياً أو دينياً أو لغوياً، وهم يعانون من نقص نسبي في القوة، ومن ثمّ فهم يخضعون لبعض

الأقليات تعريفاً للأقليات ذكرت فيه أنها: «جماعة من المواطنين في دولة ما يشكلون أقلية عددية، ويكونون في وضع غير مسيطر في هذه الدولة، ولهم خصائص عرقية أو دينية أو لغوية تختلف عن خصائص أغلبية السكان، ويكون لديهم شعور بالتضامن فيما بينهم يشجعه وجود، ولو ضمناً، إرادة جماعية في البقاء كجماعة متميزة، وهدفهم هو تحقيق المساواة مع الأغلبية في الواقع وفي القانون». ومع بداية التسعينات جرى تطور جديد على مفهوم مصطلح الأقليات مع التأكيد على العناصر السابقة التي تحدد معناها، وقد انعكس ذلك على بعض المواثيق والمعاهدات والدراسات العلمية منها: تعريف مشروع لجنة «البندقية» لاتفاقية حماية الأقليات (١٩٩١/٢/٨ المادة ١/٢): «إن مصطلح

اقتضى المفهوم الغربي للأقليات أن يكون لها معاملة خاصة بها، ولذلك صار التعامل مع الأقليات يشكل حساسية تقضي بالمحافظة على تقاليد دينية أو لغوية أو خصائص معينة تختلف عن خصائص بقية السكان. ومثل هذه الجماعات ينبغي حمايتها بإجراءات خاصة على المستويين القومي والدولي حتى يتمكنوا من الحفاظ على هذه التقاليد والخصائص ودعمها.

القومي والدولي حتى يتمكنوا من الحفاظ على هذه التقاليد والخصائص ودعمها». وفي سنة ١٩٧٩م جاء في التقرير النهائي لنفس اللجنة (اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات) تعريف للأقليات اقترحه فرانيسكو كابوتورتى (Francesco Capotorti) ذكر فيه: «الأقليات هي مجموعة أقل عدداً عن باقي سكان دولة، في وضعية غير سائدة، والتي يملك أعضاؤها المنتمون للدولة سمات مميزة من الناحية العرقية، الدينية، أو اللغوية تختلف عن خصوصيات باقي السكان ويظهرون، حتى ولو بطريقة ضمنية، شعوراً بالتضامن من أجل المحافظة على عاداتهم، دينهم أو لغتهم». وفي دراسة لاحقة قام بها نفس الباحث (كابوتورتى) حول تفسير مفهوم الأقلية أكد فيها على ضرورة

إضافة عنصر إلى تعريف الأقلية ويتمثل في «رغبة الجماعة الأقلية في المحافظة على الاعتبار الذاتي في تقاليدها وخصائصها»، وأضيف إلى ذلك العبارة التالية: «تشكل كل أقلية شخصية اجتماعية وثقافية»، كما أضيف أيضاً: «إذ إن الحاجة إلى حماية الأقليات تنشأ أساساً من ضعف وضعها حتى في محيط الدولة الديمقراطية». وفي سنة ١٩٨٥م تبنت اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية

الأقلية يعني مجموعة قليلة عدداً بالنسبة لباقي سكان دولة بحيث إن أعضائها الذين يحملون جنسية هذه الدولة يملكون خصوصيات عرقية أو دينية أو لغوية مختلفة عن باقي السكان، وتحركهم إرادة للحفاظ على ثقافتهم أو عاداتهم أو لغتهم». وفي المشروع نفسه نجد فليبسون (Philipson et SkutnabbKangas) عند تحضيرهما لهذا المشروع اقترحا التعريف التالي: «الأقلية

هي مجموعة أقل عدداً من باقي سكان دولة بحيث يحمل أعضاؤها خصوصيات عرقية أو دينية أو لغوية مختلفة عن التي يحملها باقي السكان تقودهم، ولو بطريقة ضمنية، إرادة من أجل الحفاظ على ثقافتهم أو عاداتهم أو ديانتهم أو لغتهم، فأى مجموعة تدخل ضمن حدود هذا التعريف يجب معاملتها على أساس أنها أقلية دينية أو لغوية». وفي يوم ١٩٩٣/٢/١م جاء في مشروع بروتوكول

حول الأقليات، إضافي إلى الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان (المادة الأولى منه) والمصادق عليها من قبل الجمعية البرلمانية للأوروبي (C.E) مايلي: «إن عبارة «أقلية وطنية» تعني مجموعة أشخاص في دولة، وقيمون في إقليمها وهم من مواطنيها، ولديهم روابط قديمة ومتينة ومستمرة مع هذه

«إن الأقليات القومية هي المجموعات التي صارت أقليات داخل حدود الدولة نتيجة أحداث تاريخية وقعت ضد إرادتها، وأن العلاقة بين مثل هذه الأقلية والدول علاقة مستديمة وأفرادها من مواطني هذه الدولة». إعلان «فينيا» لحماية الأقليات القومية في الدول الأوروبية، صدر سنة ١٩٩٣م. كما صدر عدد غير قليل من القوانين في الدول الغربية بخصوص الأقليات.

الدولة، ويظهرون خصوصيات عرقية أو ثقافية أو دينية أو لغوية مميزة، كما أنهم متميزون بقدر الكفاية، وفي الوقت نفسه عددهم أصغر من باقي سكان هذه الدولة أو منطقة منها، وتحركهم إرادة في مجموعهم للحفاظ على ما هو من هويتهم المشتركة لاسيما ثقافتهم أو عاداتهم أو ديانتهم أو لغتهم». وفي إعلان «فينيا» لحماية الأقليات القومية في الدول الأوروبية، والذي صدر سنة

لصاحبه. فتارة تجعل الأقلية «جماعة من الأفراد»، وتارة أخرى تجعل «مجموعة أقل عدداً عن باقي سكان دولة»، وفي ثالثة «جماعة من المواطنين في دولة ما يشكلون أقلية عديدة»، وفي رابعة «المجموعات التي صارت أقليات داخل حدود الدولة نتيجة أحداث تاريخية وقعت ضد إرادتها». ويظهر من هذا وجود اضطراب في معرفة الواقع الذي يراد تعريفه. وكذلك لا يمكننا أن نعد تعاريف «الأقليات»

المذكورة آنفاً من قبيل التعريف بالمكونات أو الخصائص والصفات التي تميز الشيء عن غيره؛ لأنّ المعايير التي اعتمدت في صياغة مفهوم «الأقليات» نسبية غير منضبطة، إضافة إلى أنها متعددة، فالأقلية تتصّب عند البعض على العدد، وعند آخرين على نقص القوة لا على العدد. فإذا

ما اعتمدنا المعيار العددي في تعريف الأقليات تواجهنا صعوبة في ضبط النسبة العددية؛ لأنّ الكم الذي يجعلنا نصف جماعة ما بأنها أقلية غير محدد، فهل تعد الجماعة أقلية إذا كانت ربع الشعب أم ثلثه أم تقارب النصف؟ وفي هذه الحالات كلها ماذا نعد المجموعة التي نسبتها أقل من المذكور؟ أعني إذا ما اعتمدنا الثلث مثلاً حداً أدنى تقاس به الأقلية، فماذا نفعل بمجموعات هي

أضيفت عبارة مفادها: «لا يجوز تفسير اصطلاح الأقلية بشكل يحض على أو يجيز اتخاذ أي إجراء، يهدف إلى حرمان أي شخص من إقامته الدائمة، أو من وضعه كمواطن». وفي ١٨/١١/١٩٩٤م صدر عن المبادرة الأوروبية المركزية بتورينو قانون حماية حقوق الأقليات وفيه تعريف للأقليات مشابه للتعريفين الأخيرين، حيث جاء في المادة الأولى منه التالي: «إن اصطلاح الأقلية القومية

يعني جماعة تقل عدداً عن بقية سكان الدولة، ويكون أعضاؤها من مواطنيها، ولهم خصائص إثنية أو دينية أو لغوية مختلفة عن تلك الخاصة ببقية السكان، كما أن لديهم الرغبة في المحافظة على تقاليدهم الثقافية والدينية».

إن هذه التعريفات الكثيرة المتباينة زماناً تدل على اضطراب في تعريف الأقلية، ومع أن

المفكرين الغربيين أولوا مسألة الأقليات حظاً وافراً من الاهتمام لعقود من السنين، بيد أنهم أخفقوا حتى الآن في صياغة تعريف جامع مانع يضبط مفهوم الأقلية. فمن ناحية فنية لا نستطيع أن نعد هذه التعاريف المذكورة سابقاً من قبيل التعريف بالماهية أو ما يعبر عنه في الفكر الغربي بـ «التعريف الحقيقي» أي الدال على ماهية الشيء؛ لأنّ كل تعريف يتحدث عن ماهية أو واقع مخالف

تدل التعريفات المتباينة

للأقليات على اضطراب، ومع أن المفكرين الغربيين أولوا مسألة الأقليات حظاً وافراً من الاهتمام لعقود من السنين، بيد أنهم أخفقوا حتى الآن في صياغة تعريف جامع مانع يضبط مفهوم الأقلية. فمن ناحية فنية لا نستطيع أن نعد هذه التعاريف المذكورة سابقاً من قبيل التعريف بالماهية أو ما يعبر عنه في الفكر الغربي بالتعريف الحقيقي!

مختلفة؟ ولذلك فإن المعيار العددي في ضبط الأقليات معيار مضطرب غير منضبط. ومثله أيضاً معيار الاضطهاد أو ضعف حال الأقلية وخضوعها لسلطة الأكثرية الجبرية، فهو معيار غير مطرد ويخالف الواقع في بلدان كثيرة فيها السيطرة لأقلية، كسيطرة البيض على أكثرية السود في جنوب أفريقيا أيام نظام «الأبارتهايد»، وكسيطرة

وبوروندي، وكسيطرة العلوية على أكثرية سنية في سوريا. وقل مثل ذلك في معيار «الخصائص العرقية أو اللغوية أو الثقافية أو الدينية». فمن جهة أولى، ما هو الأساس الذي يبنى عليه تحديد هذه الخصائص؟ ولناخذ اللغة مثلاً، فهل تجعل اللغة العربية خصيصة، أم تجعل اللهجة الواحدة داخل اللغة العربية هي

الخصيصة كاللهجة المصرية مثلاً؟ وحينها أناخذ باللهجة صعيد مصر أم باللهجة القاهرة؟ ومن جهة أخرى، لم ينظر إلى هذه الخصائص دون غيرها في تحديد الأقليات؟ ثم إن هذه الخصائص متداخلة في أحيان كثيرة مما يفقدها تميزها ووصفها بأنها خصوصيات معرفّة لأقلية ما. وهكذا فإنه بتتبع تعاريف الأقلية عند الغربيين يتبين أنها تعاريف غير واضحة وعائمة وتفقد التبلور. □

أقل من الثلث؟ وكذلك تواجهنا صعوبة في وصف الجماعة الذي يستعمل بإزائه المعيار العددي، فهل يعتمد العرق، أم اللغة، أم الدين، إذ يفضي حساب كل واحد من هذه الأوصاف إلى نتيجة غير الأخرى، فإذا اعتمدنا الدين في حق جماعة ما يمكن أن تكون بهذا الوصف أقلية عددية بل قد لا تصل إلى حد جعلها أقلية، ولكن إذا اعتمدنا العرق أو اللغة فإنها يمكن أن تكون أكثرية عددية،

فالنصارى في الأردن مثلاً عددهم قليل بالوصف الديني، ولكنهم جزء من الأكثرية العربية عرقاً ولغة في مقابل الشركس، بينما الشركس أقلية عرقية، وفي الوقت نفسه ينتمون إلى الأغلبية المسلمة. وهناك صعوبة ثالثة تكمن في أن الأقلية العددية يجب أن تعرف بالأكثرية، إذ لا يمكن تصور وجود إحدهما إلا

بوجود الأخرى، فمن هي الأكثرية التي ينبغي اعتمادها مقياساً للأقلية؟ وماذا لو انعدمت الأكثرية في مجتمع شديد التنوع كلبنان، فإذا نظرنا إلى تركيبته الدينية وجدناه يتكون رسمياً من ١٨ طائفة منهم: الموارنة، والسنة، والشيعية، والدروز، والروم، والأرمن، والسريان، والكلدان وغير ذلك. فكيف نحدد الأقلية في لبنان، وبالنسبة لأي مجموعة إذا كان لبنان كله كما قالوا طوائف

بتتبع تعاريف الأقلية

عند الغربيين يتبين أنها تعاريف غير واضحة وعائمة وتفقد التبلور. فلا يمكن ضبط واقع الأقليات في كثير من الأحيان من منطلق المعيار العددي، أو المنطلق الديني أو الطائفي أو المذهبي أو اللغوي أو العادات والتقاليد، لأن الاختلاف في بعض هذا أو كله لا يعني بالضرورة تحول من يتمتع بمثل هذه الخصائص إلى أقلية ضعيفة أو مضطهدة، أنظر مثلاً البيض والسود في جنوب أفريقيا!

بسم الله الرحمن الرحيم

مادام النظام لم يتغير، فالطغاة مازالوا يتكاثرون... لكن لا خلاص إلا بالحكم بما أنزل الله في دولة الخلافة

عبد الكريم حباشي - تونس

لقد شهدنا ولله الحمد الأمة الإسلامية في المدة الأخيرة وهي تنتفض على الطغاة في البلاد الإسلامية، فقد بدأت الثورات المباركة في تونس حيث خرجت الأمة إلى الشوارع لوضع نهاية لحكم ابن علي المستبد دون أن تلتفت إلى ما ستواجهه من تعذيب وقتل. ثم امتدت الثورات إلى أجزاء أخرى من العالم الإسلامي إلى مصر وليبيا واليمن والبحرين، فخرج المسلمون من المساجد بعد صلوات الجمعة ليرفضوا عقوداً من الاستعباد والذل والظلم وليضعوا نهاية لذلك كله. وفي سوريا ما يزال القتال

ضد بشار الأسد مستمراً إلى يومنا هذا بأيدي مسلمين يرفضون الركوع لغير الله سبحانه وتعالى. وكما هو متوقع، فإن الطغاة لم ينصرفوا بسلام بل ألقوا هراواتهم ورصاصهم وقنابلهم على المتظاهرين غير المسلحين. ولكن المتظاهرين بمشيئة الله رفضوا الاستسلام. وواضح من الشعارات الإسلامية التي يهتفون بها في شوارع مدن سوريا الكبرى كلها أن مصدر إلهامهم وقوتهم هو إيمانهم الثابت بالله سبحانه وتعالى. ففر من فر وسقط من سقط دون

تغيير للنظام. وبقيت دار لقمان على حالها. فالأنظمة تحاول أن تخدع الأمة الكريمة باختباؤها وراء ما يسمى بالدولة المدنية التي هي نسخة من الدولة العلمانية. إن هذه الشعارات جاءت بها الأنظمة التي اضطرت لتغيير مظهرها لأنها أدركت أن الأمة ترفض النظام العلماني للمجتمع. وحتى الآن فإن التغيير في الشرق الأوسط لم يكن إلا على النحو الذي سمحت به الأنظمة دون أن تتغير طبيعتها العلمانية، فعلى الأمة ألا تقبل لنفسها أن تخدع بل عليها أن تدرك أن الدولة المدنية هي قناع آخر تلبسه الأنظمة ذاتها التي ظلمت الأمة لعقود من الزمن. كما يسوقون لنا في هذا البلد الطيب لمجلس تأسيسي يحرص نوابه على الدولة المدنية كما يحرص المجاهد على الموت في سبيل الله.

لكن أي حرص هذا...

ويسوقون لنا سلعة تم استهلاكها كالحرية والكرامة بمفهوم غربي نفعي بغيض. والرسالة مثلما بينها الصحابي الجليل ربيعي بن عامر لقائد الفرس رستم حين قال له؛ لقد ابتعنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة؛ فإنه ينبغي للأمة

الإسلامية أن تدرك أن التحرر الحقيقي هو التحرر من حكم البشر والخضوع لحكم الله تعالى وحده. وعلينا أن نفهم أن العدل الحقيقي لا يتوصل إليه إلا بتطبيق شريعة الله سبحانه وأن طريق العزة والمجد يمر عبر الخضوع والطاعة لربنا سبحانه:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فالأمر لم يستقر بعد حتى تقطع الأمة هذه الأنظمة الفاسدة من جذورها وتعيد حكم الإسلام وتكون قادرة على تطبيق دين الله كاملاً دون تدرج أو تأخير مقتضية أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

نسأل الله العلي القدير أن يهدي هذه الأمة فينكشف لها الخداع ونسأله سبحانه أن يعين إخواننا وأخواتنا في بلاد الشام على إسقاط النظام الشرس وإقامة دين الله سبحانه. □

أخبار المسلمين في العالم

الإمارات تطلق قناة فضائية برعاية دحلان وخلفان

أطلقت دولة الإمارات العربية فضائية إخبارية جديدة تحت اسم "الغد العربي". واتخذت لها من العاصمة البريطانية لندن مقراً رئيساً فضلاً عن مكاتب أخرى بالقاهرة وببيروت وعواصم عربية. وقالت مصادر إعلامية في لندن أن الأمن الإماراتي يشرف مباشرة على أجندة هذه الفضائية، وأنها تهدف في المقام الأول إلى التشويش على التيارات الإسلامية التي صعدت للحكم في عدد من الدول العربية والإسلامية. وتضم القناة وجوهاً إعلامية وسياسية معروفة بالعداء للتيارات الإسلامية، من أمثال: أحمد شفيق، ومحمد دحلان، وضاحي خلفان. □

تزايد شعبية الثوار الإسلاميين في سوريا

أشار الكاتب الأميركي «مالكلوم غارسيا» إلى الحرب والأزمة المتفاقمة التي تعصف بسوريا، وقال إن الثوار الإسلاميين يكتسبون شعبية في حلب والمناطق الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم، وإنهم قد يسعون لتحويل سوريا إلى دولة إسلامية، داعياً الغرب والعرب المعتدلين إلى ضرورة التدخل "لإنقاذ البلاد". وأوضح الكاتب في مقال نشرته له صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية أن الثوار في الجيش السوري الحر مصممون على إسقاط نظام الرئيس السوري بشار الأسد في نهاية المطاف، ولكنه ليس لديهم رؤية واضحة بشأن طبيعة المستقبل الذي ينتظر البلاد. وأضاف أن الثوار في الجيش الحر الذين قابلهم أثناء زيارة له لمدينة حلب السورية لا يعرفون شكل النظام في مرحلة ما بعد الأسد، ولا ما إذا كانت سوريا ستشهد نظاماً ديمقراطياً أم أنها ستصبح جمهورية إسلامية أم ستتحول إلى "دكتاتورية إسلامية"؟ □

هيغ: سورية وجهة للجهاديين

أكد وزير الخارجية البريطاني وليام هيغ أن «سورية باتت اليوم «الوجهة الأولى للجهاديين»، محذراً من أنه كلما طال أمد النزاع الدائر في هذا البلد كلما زاد «خطرهم» على الغرب. وقال هيغ «إن من بين هؤلاء هناك أشخاص مرتبطون ببريطانيا وبدول أوروبية أخرى». وأضاف «إن هؤلاء «الجهاديين قد لا يشكلون أي خطر علينا عندما يذهبون إلى سورية، ولكن إذا ظلوا على قيد الحياة يمكن أن يعودوا مزودين بأيديولوجية أكثر تصلباً وبخبرة في الأسلحة والمتفجرات». وحذر الوزير البريطاني من أنه «كلما طال أمد النزاع كلما كان الخطر أكبر». □

أحرار الشام الإسلامية تطالب حكومة حماس بالإفراج عن معتقلين إسلاميين

دعت حركة (أحرار الشام) الإسلامية المقاتلة في سوريا حركة حماس في غزة إلى الإفراج عن عدد من السلفيين المعتقلين في سجونها. وخلال تسجيل مصور لتظاهرات خرجت في مدينة (بنش) السورية تهتف «الشعب يريد تطبيق شرع الله»، رفعت الحركة الإسلامية السورية المسلحة لافتة واضحة كتبت عليها «نطالب حماس بالإفراج عن إخواننا السلفيين الأسرى في سجون الأمن الداخلي». جاء التسجيل المصور من قبل (أحرار الشام) تحت عنوان «مطالبة أهل الشام بالإفراج عن الأسرى السلفيين في سجون الأمن الداخلي الحمساوي»، وتصدرته لافتة مكتوب عليها «إخواننا في فلسطين بين بطش اليهود الأنجاس وتشبيح شبیحة حماس... قلوبنا معكم». □

مختار نوح: مرسى طاغية ابتلانا الله به.. و«الإخوان» لا يعرفون الحلال والحرام

قال مختار نوح، القيادي السابق بجماعة الإخوان المسلمين، إن مصر ابتليت بـ«طاغية»، هو الرئيس محمد مرسي، ولن تتخلص منه ومن حكم جماعة الإخوان المسلمين، إلا بثورة جديدة. وأضاف «نوح»، في حوار له «المصري اليوم»، إن «مرسي»، ارتكب ما سماه «جميع السفالات بهدوء وراحة بال وضمير»، وحوله مجموعة وزراء «فاشليين»، لن يقودوه والبلاد إلا إلى الهاوية، موضحاً أن «مرسي» خالف الشريعة الإسلامية في كل قراراته، ومنذ توليه حكم البلاد، لم يصدر قراراً واحداً ليس فيه مخالفة للشريعة الإسلامية. وتابع: «لا يزال البعض يحصل على عمولات، من الاتجار بديون مصر، بنفس النحو الذي كان يسلكه جمال مبارك، وحين يعترض أحد يصطدم بطائفة المبررين وهي جماعة الإخوان المسلمين، التي لا تعرف الحلال والحرام، وإنما تعرف عبادة الأشخاص». □

مقتراح اتفاق السلام ٢٠١٣ ينص على أن سورية «جمهورية ديمقراطية برلمانية»

نشرت صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها الصادر في ١٤ فبراير/شباط نص مقترح اتفاق السلام السوري ٢٠١٣ الذي حصلت عليه، وهو موقع من الحكومة السورية ومعارضة الداخل. وينص الاتفاق على أن سورية «وطن سيد حر مستقل، وطن واحد لجميع أبنائه، أرضاً وشعباً ومؤسسات، في حدوده المعترف بها دولياً»، وأنها «جمهورية ديمقراطية برلمانية، تقوم على احترام الحريات العامة، وفي طبيعتها حرية الرأي والمعتقد». ولتجاوز الأزمة الراهنة ينص الاتفاق على تشكيل طاولة الحوار (مجلس الشيوخ) من ١٤٠ عضواً يجري انتخاب ١٠٢ منهم، ويعين بالتزكية ٣٨ عضواً من قبل النظام والمعارضة والمرجعيات الدينية. ويرأس مجلس الشيوخ نائب رئيس الجمهورية، ولا يحق له التصويت إلا في حال تعادل الأصوات. وينص الاتفاق أيضاً على الوقف الفوري لإطلاق النار، والبدء بسحب القوات من المناطق المدنية والإطلاق الفوري لسراح جميع السجناء الذين لم يحملوا السلاح. □

بان كي مون: الكارثة تتعمق في سورية من دون حل سياسي في الأفق

أكد بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة أن الكارثة تتعمق في سورية بغياب حل سياسي في الأفق، وأوضح مون في مؤتمر صحفي مشترك مع وزير الخارجية الأميركي جون كيري أنه يؤيد مبادرة رئيس الائتلاف الوطني السوري أحمد معاذ الخطيب لإطلاق الحوار مع السلطات السورية. وأضاف أن هذه «المبادرة يجب استثمارها دولياً»، معتبراً أنها «فرصة يجب ألا تضيع».

بريطانيا تتجه لتكثيف حجم الدعم الأمني للثوار السوريين

ذكرت صحيفة 'ديلي تلغراف' أن بريطانيا تتجه لتوسيع حجم الدعم الأمني الذي تقدمه للثوار السوريين بشكل كبير، على الرغم من فشلها في إقناع الاتحاد الأوروبي بإلغاء الحظر المفروض على الأسلحة إلى سورية. وقالت الصحيفة إن الاتحاد الأوروبي أعطى الضوء الأخضر لخطط الحكومة البريطانية إرسال مدربين عسكريين ومدنيين لمساعدة الثوار السوريين. ونسبت الصحيفة إلى مصادر في الحكومة البريطانية قولها إن لندن 'ستعلن في الأيام والأسابيع المقبلة عن أنها ستقدم المشورة والتدريب لقوات المعارضة السورية بما في ذلك الحفاظ على الأمن في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، والتخطيط لإصلاح قطاع الأمن في المرحلة الانتقالية من العلاقة مع المعارضة السورية'.

المالكي يحذر من فوزى ما بعد الأسد خوفاً من نفس مصيره

أطلقت محافظات الأنبار وبغداد وصلاح الدين ونيوى وكركوك وديالى موجة جديدة من الاحتجاجات ضد حكومة المالكي. وتأتي هذه الاحتجاجات متزامنة مع تسريبات صحفية عراقية عن أن نوري المالكي رئيس الوزراء العراقي أصبح يشعر بخوف شديد قاده إلى قناعة راسخة من أن الدور سيأتي على نظام حكمه بمجرد أن تتمكن المعارضة السورية من الإطاحة بنظام الرئيس السوري بشار الأسد. ويأتي هذا التصعيد الجديد في الاحتجاجات بينما تنكشف من يوم إلى آخر مخاوف رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي من خطورة هذه الانتفاضة السنية وجدية تهديدها لنظام حكمه الذي يوصف في العراق وعلى نطاق واسع بأنه حكم طائفي. وكان المالكي قد حذر من أن انتصار المعارضة في سوريا سيذكي حروباً طائفية في العراق ولبنان ويخلق ملاذاً جديداً لتنظيم «القاعدة». وأفادت مصادر بحسب عدد من وسائل الإعلام أن «المالكي أشار إلى أن ما يحدث في مناطق ومحافظات السنتّة حالياً هو تمهيد لانقلاب يجري الإعداد له بسرية بالغة لتقويض الوضع السائد في العراق وتدمير العملية السياسية وإسقاط حكومته، وأن الانقلابيين يتهيؤون لتنفيذه في اليوم الذي يعلن فيه إسقاط الأسد في دمشق».

استحواذ بريطانيا على القسم الأكبر من الاستثمارات في مصر

أظهر توزيع الاستثمارات الأجنبية الوافدة إلى السوق المصرية خلال العام المالي المنتهي في ٢٠١٢م، استحواذ أوروبا على النصيب الأكبر من تعاملات الأجانب في السوق المصري بنسبة ٤٠٪ من إجمالي الاستثمارات الأجنبية خلال عام ٢٠١٢م، بينما بلغ نصيب العرب نحو ٢٩٪، ثم أميركا وكندا بنسبة ٢٣٪ من إجمالي الاستثمارات الأجنبية خلال العام الحالي. وعلى مستوى الدول فقد استحوذت كل من بريطانيا وأميركا على نحو ٣٢٪ و ٢٣٪ على التوالي.

الجيش المصري يراقب الأوضاع ويتعهد بعدم السماح بانتهيار البلاد

بعث الجيش المصري بإشارات توضح نفاذ صبره بطريقة متصاعدة تجاه قادة البلاد الذين ينتمون إلى التيار الإسلامي، منتقداً سياساتهم بطريقة غير مباشرة، ولملحاً لإمكانية عودته إلى السلطة من جديد. ونقلت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية عن مايكل جورج حنا الخبير المصري في مؤسسة القرن بنيويورك قوله «من حيث الجوهر، فإن الجيش لن يسمح بأن يوضع استقرار البلاد تحت التهديد أو أن يحدث أي انهيار في النسيج الاجتماعي المصري، أو أن يمتد الصراع الأهلي على نطاق أوسع». وأكد بقوله أن الجيش المصري ليس مؤدجاً يريد زعزعة استقرار الحكم المدني، ولكنه أيضاً لن يجلس مكتوف الأيدي إلى أن تصل البلاد إلى نقطة اللاعودة وتشتعل حرب أهلية. وذكرت صحيفة «واشنطن بوست» أن الخلاف بدأ عندما تسربت شائعات عن نية الرئيس إقالة الفريق أول عبدالفتاح السيسي وزير الدفاع من منصبه. وأشارت إلى أن السيسي ربما يكون قد أغضب الرئيس مرسي عند صرح الشهر الماضي بأن الجيش على استعداد للتدخل، محذراً من أن البلاد من الممكن أن تنهار إذا لم يتم التوصل لحل سريع للأزمة السياسية الراهنة.

فرنسا تتستر على تهريب بن علي ١٨٠٠ سبيكة ذهبية، ومدير مكتبه يكشف عن ارتباطه بالموساد

قالت صحيفة التايمز البريطانية، إن هناك اتهامات تلاحق فرنسا بالتستر على قيام الرئيس التونسي الهارب زين العابدين بن علي وزوجته بتهريب ١٨٠٠ سبيكة ذهبية من تونس للإنفاق على حياة الترف التي تعيشها الأسرة في المنفى. وأوضحت الصحيفة البريطانية أن ما قيمته ٧٢ مليون يورو من الذهب تم تهريبها من تونس عبر مطارات فرنسا على الرغم من تعهد الاتحاد الأوروبي بتجميد أصول بن علي في أوروبا، وذلك وفقاً لموظفين في إدارة الجمارك الفرنسية. ويذكر أن بن علي وزوجته قد فرّا إلى المملكة العربية السعودية في يناير ٢٠١١م، بعد انتفاضة شعبية كانت الشرارة الأولى لما سمي بالربيع العربي. على صعيد آخر، قال البشير التركي، المشرف السابق على إدارة الاتصالات بوزارتي الدفاع والداخلية التونسية، إن «رئيس البلاد السابق والهارب زين العابدين بن علي على علاقة بالمخابرات الإسرائيلية (الموساد) منذ عام ١٩٨٥م». وأضاف التركي

قائلاً إن الرئيس التونسي السابق متورط في عملية اغتيال أبو جهاد (خليل الوزير)، وقد كان العقل العسكري والرجل الثاني بحركة فتح الفلسطينية واغتالته المخابرات الإسرائيلية في منزله بتونس في ١٦ أبريل ١٩٨٨م)، بحسب ما نشرت وكالة الأناضول. وأشار البشير التركي إلى أن «المخابرات الإسرائيلية تمكنت في زمن بن علي من تجنيد خلايا في مدن تونسية كبرى، كما أقامت موقعاً لتحسين تجهيزات ومراكز التنصت الموجودة في قصر قرطاج».

الغارديان: استقالة بابا الفاتيكان نتيجة ملف فضائح شنود أساقفة الكنيسة

ذكرت صحيفة «ذي غارديان» البريطانية أن تقريراً صحفياً عزا استقالة البابا بنديكت السادس عشر من منصبه راعياً للكنيسة الكاثوليكية إلى الكشف عن شبكة من الأساقفة الشاذين جنسياً داخل الفاتيكان، بعضهم تعرض للابتزاز من أشخاص في الخارج. وكان باولو غابرييلي -كبير خدم بابا الفاتيكان- قد اعتُقل في مايو/ أيار الماضي بتهمة سرقة وتسريب مراسلات بابوية صورت الفاتيكان على أنه بؤرة تمور بالدسائس والصراعات الداخلية. وفي تطور آخر ذي صلة بالديانة المسيحية، اقترح أكبر رجال المذهب الكاثوليكي في بريطانيا أن يُسمح للقساوسة بالزواج وممارسة الجنس، في خطوة اعتبرتها صحيفة «إندبندنت» انحرافاً كبيراً عن التعاليم السائدة حالياً في الكنيسة. وقال رئيس أساقفة سانت أندروز وإدنبره الكاردينال كيث أوبراين في مقابلة مع تلفزيون (بي بي سي) إن على البابا الجديد أن يعمل على تعديل القوانين المتعلقة بتبطل القساوسة «لأن ليس لها أصل في الدين».

الفضائح الجنسية «قنبلة موقوتة» بالكنيسة الكاثوليكية

يرزح الفاتيكان تحت عبء فضائح جنسية جديدة لرجال دين مع اقتراب موعد مغادرة البابا بنديكتوس السادس عشر الكرسي الباباوي بعيد إعلانه في وقت سابق من الشهر نيته التخلي نهاية الشهر الجاري. وأعلن الفاتيكان أن الكاردينال كيث أوبراين، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في أسكتلندا الذي استقال من منصبه بعد اتهامه من قبل رجال دين بممارسة «سلوك غير لائق» معهم، بالتزامن مع مواجهة كاردينال أميركي مزاعم جديدة بالتستر على انتهاكات، في حين نشرت الصحف الإيطالية روايات مروعة عن تجاوزات جنسية وابتزازات بين مختلف الرتب الدينية في الكنيسة. واختتمت تلك الفضائح بمزاعم الكشف عن جمعية سرية لقساوسة مثليين في الفاتيكان، أطلق عليها إعلامياً فضيحة «فاتي ليكس». وعقب مارك داود، قس سابق من الدومنيكان وهو يعمل حالياً كصحفي، على تلك الفضائح قائلاً «المتلية قنبلة موقوتة في الكنيسة الكاثوليكية... وعندما تكون السرية والإحساس بالإثم والكبت هي الثقافة السائدة، فهذا يخلق مناخاً خصباً للابتزاز والتلاعب».

محاسبة النفس (١) صورها وأثرها

سعيد الأسعد - فلسطين

الحمد لله القائل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤٠) والقائل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) والقائل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾

ونطوعها ونحملها ونرفعها، فغداً حساب وأي حساب، وعندها لات ساعة مندم، إذ لا وقت لتدارك أي أمر، كيف لا، وقد أعطانا ربنا عز وجل فرصة في الدنيا نحاسب بها أنفسنا، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧). روى الحاكم عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني». وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر». وكتب إلى أبي موسى: «حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة».

وإن حساب النفس له أثران: أثر في الدنيا، وأثر في الآخرة. وأما الأثر في الدنيا فيظهر في استقامة العبد، وفي رقي سلوكه وروعة انضباطه ونزوعه

إن قضية محاسبة النفس لها على جانب عظيم من الأهمية، فهي من يقظة الواعين المستيقنين بالدار الآخرة. الذين يدركون حجم الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، فيعطون الأولى وزنها والآخرة قدرها، فهي خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلِآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤) والذين يستعدون ليوم الحساب العظيم ويحسبون له حسابه، فمن أدركه أنه متجه بقضاء مبرم نحو نقاش حسابه عذب كما قالت أم المؤمنين عائشة: «من نوقش الحساب فقد عذب»، فمن أدرك ذلك سارع وتدارك بمحاسبته لنفسه وهو في سعة من العيش في دنياه ليصلح ما أفسد بتقصيره، ويسرع بما أبطأ به من عمله، ويرمم ما صدعته ذنوبه ومعاصيه؛ فيكون مستعداً ليوم صبحه يوم القيامة. ولما كانت الحقيقة أن كل بني آدم خطاء كانت الحاجة ضرورية ليتتبع سقطاته وزلاته وعوراته، فالיום عمل ولا حساب. ويمكننا أن نتلافى ونتدارك فتحاسب النفس ونزجرها

تطويعها لضمانة الاستقامة على مقياس القادة الأبدال...ولله در القائل «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي»، فدرجة القبول والترحيب والشكر على من ينهنا لعيوبنا هي درجة الشكر على الهدية. وفي ذلك تطويع للنفس على مبدأ قبول النقد والمحاسبة من الغير، وأما محاسبة النفس للنفس فهي أكد وأولى، بل وتجهزها لقبول النصح من الآخرين.

• صور المحاسبة:

١- محاسبة النفس على الصعيد الفردي في الالتزامات الإسلامية وأثرها على النفس وعلى الركب إيجاباً أو سلباً.. إن الالتزامات الإسلامية من قيام بالواجبات، وترك للمحرمات، والحرص على المندوبات والقربات، والحرص على ترك المكروهات، والترفع عن بعض المباحات، يحرص عليه أهل التقوى كل الحرص التزاماً وطاعة لله، وابتغاء لرضوانه، وطمعاً بجنته، وهروباً من زفير نيرانه، ولا يتم ذلك إلا بمحاسبة النفس من قبل حملة الدعوة مرتين: مرة حرصاً على النقاء وإخلاصاً خالصاً لله يقتضي التأكيد على المحاسبة في محاسبة فوق المحاسبة، فيحاسب حامل الدعوة نفسه مرة أخرى وفق معيار يكون فيه أسبق الناس للقيام بالواجبات وترك المحرمات والبعد عن الشبهات، ويكون أسبقهم في التنافس على القربات فيحز في نفسه ويؤرقه أن يسبقه الناس على حضور

نحو الكمال الإنساني؛ فتقلُّ زلاته، ولا تجد منه إلا الطيب من القول والفعل؛ فيطيب للناس ذكره، ويحبون الاقتداء به، ويضربون الأمثلة به، ويستشهدون به في الخيرات... رغم أنه ليس لهذا كان يسعى ويتفانى. وإنه والله إن كان هذا ما يدركه كل فرد صالح يتمم نقصه بمحاسبة نفسه بلومها وديمومة تزكيتها، فان هذا لهو أكد في حق حملة الدعوة، وهم الثلة الطلائعية ومقدمة الركب في قيادة الناس نحو الخيرات والتزام كل الطاعات، وعلى رأسها حمل الدعوة لاستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الخلافة... ذلك أن حامل الدعوة هو محل لمحاسبة الناس ومحط لأنظارهم وينتظرون منه أن يكون مثلاً يحتذى ليقودهم، فالناس لا تعطي قيادتها حين تقصد التضحية والفداء إلا لمن تظن فيه الخير، وتلمس أنه ورع تقي نقي محل قدوة، عطر الذكر قوي أمين، ولا يتأتى هذا لأحد إلا إذا اتخذ من محاسبة النفس سجية له يتمم بها نقائصه ويحيط بها أمره باستقامة وحراسة... وإن الدور القيادي الطلائعي يلقي بظلاله على مقتضيات الأهلية من ديمومة اليقظة على الزلات والحرص على القوة في القدوة والمثال والإحاطة بكل الأسباب التي تقي من العثرات... ولا سبيل إلى كل هذا إلا باثنتين وهما: النصيحة وديمومة المحاسبة للنفس وجلدها إلى حد

إن حمل الدعوة فيه متطلبات كثيرة، وتقوم كلياته على جزئيات كثيرة، قد لا يأبه بها البعض ولا يعدونها شيئاً بل يمرون عليها مرور الكرام، فلا يحاسبون أنفسهم عليها، وقد يُكثرون من التبرير والاستهانة بتركها، وإن هذا لهو بداية للنقص ومدخل للخطر، فقد يتهاون الواحد في عمل هنا أو هناك، أو معلومة هنا أو هناك، أو مطلب هنا أو هناك، ويبرر بما يحلو له، وإن التبرير يمحى الأعمال ويذهب بها، فمن كثر تبريره كثر اعتذاره، ومن كثر اعتذاره كثر تقصيره، ومن كثر تقصيره سهل ضياعه، ولا سبيل للنجاة من كل ذلك إلا بالمحاسبة الدقيقة الصارمة؛ فيأخذ نفسه بالشدة بالحق، والدقة بالملاحظة، والمثابرة على الصبر على الالتزام، والتشديد على المعايير الدقيقة كميزان الذهب يزن بالذر لأن الذر من الذهب ثمين. وإن أي عمل له مساس بالدعوة لهو أثن من الذهب، ويجب أن يوزن بأدق من ميزان الذهب، وعليه يكون الحساب.

إن محاسبة حامل الدعوة لنفسه لا يكون فقط على إسقاط الواجب، فلا يكون مثلاً على التأخر عن الحلقة، بل على عدم التبكير لها. وليس على عدم التحضير لها وعدم التفاعل فيها بل على عدم التفوق في كل شيء متعلق بها، وكذلك فإن محاسبة النفس لا تكون

صلاة الجماعات، ويستنفره أن تتجافى جنوب بعض الناس ممن لا يحملون الدعوة عن المضاجع ويصلون الفجر في جماعة وهو يرقد في فراشه، ويندى جبينه خجلاً أن يرى الناس أو بعضهم يسبقونه في أي من الفضائل، أو يفجر إن خاصم في حين أن خصمه من الناس يصفح ويسامح، وإنه والله لما تتفطر منه القلوب ويهتز له كيان النفس أن لا يحاسب المسلمون أنفسهم ولا يأترونها على الحق أطراً وخاصة أصحاب الدعوة، بل عليهم أن يعينوا أنفسهم على أنفسهم؛ فيتنبهوا لسلوكهم ويزنوه بميزان الذهب، ويحيطوه بكل رعاية، ولا يفجروا إن خاصموا بل يدفعوا بالتي هي أحسن، فهذا أقوم خلقاً يزكيهم به ربهم كي يكونوا منارات وعلامات يهتدي بها الناس في الظلمات... وإنه والله لا يليق بحامل الدعوة أن يكون وعاءً مليئاً بالخيرات ولا يحرص كل الحرص على محاسبة نفسه في الصغيرة قبل الكبيرة، وفي اللمم قبل العظام... وليكن شعار المحاسبة هو على معيار نجعل فيه بيننا وبين الحرام سترة من الحلال، فلا نكون على حدود الحرام حتى لا نقع فيه.

٢- محاسبة النفس على صعيد حمل الدعوة والقيام بتكالييفها على نحو فيه المسابقة، والمسارعة، والمنافسة، والتفاني والتضحية... ورجاء القبول.

واستبشاراً بالبيع الذي بايع ربه عليه.
٣- ليس من العيب جلد النفس وتعنيفها بشكل داخلي وتوسيع النطاق مع مراعاة عدم الإخلال.

إن فكرة محاسبة النفس والحاجة لتعنيفها، وتقويم اعوجاجها وتقصيرها، ومعالجة إبطائها عن الخيرات، وعدم المنافسة والمسابقة والتفاني في المهمات، وعدم الأخذ بالعزائم... إنما يقوم على أن صفقتنا هي مع الله وابتغاء رضوانه والحرص على عدم معصيته، أو التقصير في جنبه وعلى أرضه وتحت سمائه... وقد رزقنا من مائه وهوائه وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. وأعظم من هذا فقد أنقذنا من النار وقد كنا على شفا حفرة منها بأن جعلنا مسلمين. وزاد في نعمته علينا بحمل الدعوة مع حزب التحرير فاتضحت لنا به فكرة الإسلام وطريقته، وحملنا من خلاله الدعوة على بصيرة وفق منهج الإسلام في التغيير، فاستحقت هذه النعم الغامرة منا كل جهد وورق، وكل إخلاص ومسابقة وتضحية وتفانٍ شكراً وإخلاصاً لله سبحانه، فنحاسب أنفسنا أشد المحاسبة على هذا الأساس، ومن هذا المنطلق، ولنا خير مثال وقدوة في صحابة رسولنا الأكرم وهم يدركون ويضعون نصب أعينهم قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) وقوله تعالى:

على عدم حضور درس عام أو محاضرة بل تكون على التذكير والحشد لها، ودعوة المعارف وترتيب حضورهم وأخذ ردة فعلهم ودوام التواصل معهم. وكذلك فإن محاسبة النفس لا تكون فقط على عدم الاتصال بالناس لأجل كسبهم، أو بالرأي العام لأجل بنائه، بل تكون بأخذ كل الأسباب الممكنة للنجاح. وكذلك الأمر في توزيع الإصدارات، فلا تكون محاسبة النفس على عدم توزيعها، ولا بتأنيب النفس على إهمال كمية صغيرة، بل المحاسبة تكون للنفس بأخذ ردود الفعل عليها لدوام قياس المجتمع وتفاعله مع دعوتنا... نعم إن محاسبة النفس على أصولها تكون وفق هذه المعايير الدقيقة التي تكفل وتضمن بناء النفسية على طاعة الله وعقد الصفقة معه. قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾. وبهذا يكون حامل الدعوة قد بنى نفسه على قيم خاصة رفيعة تضمن بمشيئة الله الرقي بنا إلى مستوى الصحابة الكرام رضي الله عنهم وقرب من عزماتهم. فمن يطلب الدرجات العلى لا بد له من قفزاتها وعزماتها، وهي لا تكون بمحاسبة النفس على أقل التكاليف ولا أيسرها، بل بالأخذ بالعزيمة دون الرخصة فيما تقتضيه صلابة الدعوة ورسوخها إخلاصاً خالصاً لله تعالى وحده، وصدقاً مع رسوله الكريم،

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) وقوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ وقد استدل أولو البصائر بمثل هذه الآيات فكانوا لأنفسهم بالمرصاد، وعلموا أنهم سيناقشون الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، فتحققوا أنهم لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومتابعة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات. فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفَّ يوم القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته. فحتمَّ على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها، وخطراتها وخطواتها، فإن كل نفس من أنفاس العمر لا عوض لها. فانقضت هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم لا تسمح به نفس عاقل. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣١)، وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا

إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٢). والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٣٣) وقال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة». قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا» وقال «مالك بن دينار»: «رحم الله عبداً قال لنفسه: أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى؛ فكان له قائداً، عن عمر بن الخطاب أنه صعد المنبر يوماً فقال: «إني كنت أرى الغنم لبني فلان على قراريط، وكنت كذا وكذا، ثم بكى ونزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما زدت على أن أذريت بنفسك، قال عمر: إن نفسي حدثتني بالخلافة فأردت أن أؤدبها» وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب يوماً - وقد خرجت معه حتى دخل حائطاً - فسمعته يقول، وبينه وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: «أمير المؤمنين!! بخ بخ، والله لتتقين الله أو ليعذبنك». قال الحسن البصري: «المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا

المحتاج، والأسير المفقود وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سألني عنهم، فخفت على نفسي خوفاً دمعت له عيناى، ووجل له قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكراً ازددت لها وجلاً، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي»

نعم يا حملة الدعوة بهذه النفسيات والعزمات وتلك الشهقات وبذلك المحاسبة العسيرة الشاقة على النفس تكون أهلية الرجال في اقتعاد ذرى المجد، وبعد أن نكون قد أرينا الله من أنفسنا ما يرضيه عنا فيرى بكاءنا على خطايانا وتقصيرنا الذي نتبعه ما يزيله أو يجبره، ولعل الله يطلع على قلوبنا وإخلاصنا وإسراعنا وتفانيها ما ينصرنا به نصراً عزيزاً تآقت له نفوسنا ورنّت إليه أبصارنا وأفئدتنا تكون فيه عزة الاسلام على أيدينا... اللهم اصنعنا على عينك، واصطنعنا لنفسك، وخذ منا ما يرضيك، واجعلنا أهلاً لموعودك بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣٨١) وقال جل من قائل: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٨)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. □

الأمر من غير محاسبة». وفي قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢) قال الحسن البصري: «لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضى قدماً لا يعاتب نفسه». وعن عطاء قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، فقلت لها: يا بنت عبد الملك، أخبريني عن أمير المؤمنين، قالت: «أفعل، ولو كان حياً ما فعلت! إن عمر رحمه الله كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس، كان يقعد لهم يومه، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليله، إلى أن أمسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجيه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلّى ركعتين، ثم ألقى واضعاً رأسه على يده تتسائل دموعه على خده، يشهق الشهقة فأقول: قد خرجت نفسه، وانصدعت كبده، فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائماً، قالت: فدنوت منه فقلت: «يا أمير المؤمنين، رأيت شيئاً منك البارحة ما رأيته قبل ذلك، فما كان منك؟» قال: «أجل، فدعيني وشأني، وعليك بشأنك»، قالت: فقلت له: «إني أرجو أن أتعضد»، قال: «إذن أخبرك، أني نظرت إليّ فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧).



جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه
 سبطاء بن خليل أبو الرسته
 أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

بعد أن بين الله سبحانه حال أسلاف اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ بأنهم كفروا بالله وبأنعمه وقتلوا الأنبياء وعصوا الله وتجاوزوا حدوده وقست قلوبهم من بعد ما رأوا الآيات، بعد ذلك يعلم الله سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين أمراً آخر عن أولئك اليهود، فقد كان فريق منهم، علماءهم أو غيرهم، يسمعون كلام الله من موسى - عليه السلام - مباشرة، ومع ذلك ينقلونه للآخرين محرفاً متعمدين تحريفه على علم منهم، وعليه فليس غريباً أن يحرفه هؤلاء الخلف وهم لم يسمعه - أي التوراة - مباشرة كما سمعه السلف من موسى - عليه السلام - . ومن كان هذا أمرهم فلا أمل يرجى منهم أن يصدقوا برسول الله ﷺ وبما جاء به من عند الله سبحانه ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾.

أي لا أمل يرجى منهم أن يصدقوا بما جاء. وأصل الطمع تعلق النفس بشيء تعلقاً قوياً وهو أشد من الرجاء، والاستفهام استنكاري.

ثم بيّن الله سبحانه حالاً جديدة من أحوال اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ التي تؤكد أن إيمانهم بعيد الحدوث، فهم يتدعون أساليب عدة للكيد للإسلام، ففريق منهم يظهر إيمانه نفاقاً أمام رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويقرّ بأن هذا هو الرسول المذكورة صفته في التوراة، ويرون أن ذكر هذه الحقيقة وإن كانت خطيرة عليهم إلا أنها تحقق لهم الأمان من جانب المسلمين فلا يحذرون منهم على اعتبار أنهم أظهروا الإيمان أمامهم، وبذلك يتمكن هؤلاء اليهود المنافقون من النفاذ إلى داخل المسلمين والكيد للإسلام بسهولة ويسر.

وفريق آخر منهم لا يرى أن هذا كافٍ لتبرير ذكر الحقيقة أمام المسلمين، فهذا الفريق يرى أن التحدث في حقيقة كون محمد ﷺ هو النبي المبشر به في التوراة بصفته ونعته، يرى أن هذا الأمر جدّ خطر لأنه سيمكن المسلمين من استعماله حجة عليهم إذ كيف لا يؤمنون برسول الله ﷺ وهو موصوف في توراتهم؟ وعليه فعندما يختلي بعضهم إلى بعض يتلاومون على ما حدث ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بما أنزل الله عليكم في كتابه من نعت محمد ﷺ وصفته وأنه المبشر به والمبعوث للعالمين، وكلّ ذلك من باب صرف الناس عن الإسلام.

وعلى نحوه ما كان يصنعه يهود في محاولاتهم لردّ المسلمين عن دينهم بأن يؤمنوا أول النهار ثم يكفروا آخره لإيجاد الاضطراب عند المؤمنين ليرجعوا عن دينهم كما كانوا يأملون ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا عَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران/٧٢. وهكذا هم يفعلون، يظهرون الإيمان نفاقاً أمام المؤمنين ثم يتلاومون على ذلك فيما بينهم، وكلّ منهم حريص على اتباع أنجع السبل في الكيد للإسلام والمسلمين، وكلّ ذلك وهم على علم تام بأن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية فهو يعلم حقيقة ما يعلنونه نفاقاً أمام الرسول ﷺ والمؤمنين، وكذلك ما يسرونه في مجالسهم الخاصة عندما يختلي بعضهم إلى بعض ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) والاستفهام للتقريع.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ

ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

بعد أن ذكر الله سبحانه حال علماء يهود الذين كانوا يسمعون كلام الله ويتلون التوراة ومع ذلك يحرفونها ويبدلونها كما في قوله تعالى ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) أي يعلمون أن الذي كان قبل التحريف هو الحق وأن المحرف هو الباطل بمعنى أنهم يحرفونه على علم. بعد ذلك أعلمنا الله عن فريق آخر منهم وهم الأميون الذين لا يقرءون ولا يكتبون، وهؤلاء لا يعلمون من الكتاب إلا ما يتمنون حدوثه لهم من عفو الله عنهم أو عدم عذابهم في النار إلا أياماً معدودات، وغير ذلك مما كان علماءهم يمنونهم إياه، فهؤلاء الأميون لا يعلمون من علم الكتاب إلا ما مناهم به علماءهم فهم يظنون، والظن شكٌ دون علم، لأنهم مقلدون لعلمائهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا مَا نَافَى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨).

ثم يتوعد الله سبحانه علماء يهود وكتبهم الذين يغيرون التوراة المنزلة ويحرفونها ويكتبون غيرها ثم يبيعونها للعامة على اعتبار أنها من عند الله، فيتوعدهم الله سبحانه بالويل وهو «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهُودِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ إِلَى قَعْرِهُ» فهو عذاب أليم شديد لأولئك المفتريين على الله المحرفين لكلامه سبحانه. وكأن الله سبحانه بهاتين الآيتين والآيات الثلاث التي قبلها أعلمنا أن لا نطمع في إيمان يهود على الحال التي ذكرها فيها، فهم إما علماء ضالون مضلون يحرفون الكلم عن مواضعه على علم منهم أو أميون مقلدون لعلمائهم تابعون لهم في ما افتروا من كذب على الله، وكلاهما إيمانه بعيد بعيد.

وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لِيَشْرَوْا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا﴾ خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، أي أن الويل لأولئك المحرفين لكتاب الله سواء باعوا ما كتبوه بثمن قليل أو كثير، فويل لهم على ما كتبت أيديهم من افتراء على الله ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وكذلك ويل لهم على ما اكتسبوه من مال حرام ببيع ما كتبوه ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩).

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) وَالَّذِينَ

١ الترمذي: ٣٠٨٨، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، تفسير الطبري: ٣٧٩/١

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

يبين الله سبحانه أن اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات أي قليلات، فالعرب تعبر عن القليل بالمعدود ﴿وَشَرُّهُ يَبْمِثُ بِحَسْرِ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ يوسف/آية ٢٠ أي قليلة ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ البقرة/آية ٢٠٣ أي قليلة - أيام التشريق - وهي هنا كذلك، أي أن النار لن تمسهم إلا أياماً قليلة، هكذا زعموا، ومن ثم يقيم الله الحجة على كذبهم هذا بأن يأتوا ببرهان على عهد الله لهم بذلك، فإن لم يكن لهم عهد - وهو لم يكن - يكونوا مفتريين على الله كذباً ﴿قُلْ أَتُخَذُّنَّ مِنْكُمْ عَهْدٌ فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) ونحو هذا ما قاله الله في آية أخرى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤) آل عمران/آية ٢٤ أي أصابهم الغرور بما كان يشيعه أحبارهم من أنهم لن يعذبوا إلا أياماً قليلة كما يزعمون كذباً وافتراء على الله.

ثم بين الله سبحانه أن اليهود كاذبون في قولهم المذكور، وأن الحق هو أن الذي يكفر بالله ويشرك به ويموت على ذلك فإنه خالد مخلد في النار، وأن الذين يؤمنون بالله ورسوله وبكل ما جاء من الحق ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ويطيعون الله ورسوله ﷺ ويطيعون حدود الله ويؤدون فرائضه ويجتنبون محارمه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهؤلاء خالدون مخلدون في جنات النعيم.

وفي هذا بيان لليهود أنهم إن بقوا على كفرهم وماتوا عليه فإنهم خالدون في النار، وإن آمنوا وعملوا الصالحات يدخلوا الجنة خالدين فيها، وهو يعم كذلك في كل من كان هذا شأنه لأن اللفظ عام.

﴿بَلَى﴾ حرف جواب مثل نعم إلا أنها لا تقع جواباً إلا لنفي متقدم سواء دخله استفهام أم لا، وهي تثبت ما بعد النفي، فهم قالوا ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ فأجابهم الله سبحانه ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي بلى تمسكم أبداً - دون انقطاع - بدليل قوله تعالى ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١).

﴿كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ السيئة هنا الكفر والشرك، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي اجتمعت عليه فمات عليها بدون توبة، من الحائط الذي تحاط به الدار كل ذلك بقرينة الخلود في النار، فإن السيئة التي توجب الخلود في النار هي الشرك والكفر والثبوت عليه، أما من تاب وأناب ودخل الإسلام بعد شركه وكفره فلا يخلد في النار إن مات على ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء/آية ٤٨. □

بسم الله الرحمن الرحيم

عرضه ﷺ الدعوة على بكر

وأخرج الحافظ أبو نعيم عن العباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة، فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقر في منازل قبائل الناس»، وكانت مجمع العرب. قال فقلت: هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال فبدأ بكندة فاتأهم فقال: «ممن القوم؟» قالوا: من أهل اليمن. قال: «من أي اليمن؟» قالوا: من كندة قال: «من أي كندة؟» قالوا: من بني عمرو بن معاوية، قال: «فهل لكم إلى خير؟» قالوا: وما هو؟ قال: «تشهدون أن لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة، وتؤمنون بما جاء من عند الله». قال عبد الله بن الأجلح: وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الملك لله يجعله حيث يشاء». فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئنا به. وقال الكلبي: فقالوا: أجئنا لتصدنا عن آلهتنا ونناذب العرب، إلحق بقومك فلا حاجة لنا بك.

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: «ممن القوم؟» قالوا: من بكر بن وائل. فقال: «من أي بكر بن وائل؟» قالوا: من بني قيس بن ثعلبة. قال: «كيف العدد؟» قالوا: كثير مثل الثرى. قال: «فكيف المنعة؟» قالوا: لا منعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال: «فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبّحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين». قالوا: ومن أنت؟ قال: «أنا رسول الله». ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة منا، فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه «رسول الله»، قال: ألا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنه مجنون يهذي من أم رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر. كذا في البداية. □

رجل من أهل الجنة «عبدالله بن سلام»

يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْسَحَ لَهُ فِي عُمُرِهِ حَتَّى يَشْهَدَ ظُهُورَ هَذَا النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ، وَيَسْعَدَ بِلِقَائِهِ، وَيَكُونَ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ الْحُصَيْنِ بْنِ سَلَامٍ، فَأَطَالَ اللَّهُ عُمُرَهُ حَتَّى بُعِثَ نَبِيُّ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَكُتِبَ لَهُ أَنْ يَحْظِيَ بِلِقَائِهِ وَصُحْبَتِهِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ...

فلنترك للحُصَيْنِ الكلامَ ليسوقَ لنا قصةَ إسلامِهِ فهو لها أَرَوَى (أجود رواية)، وعلى حسن عرضها أقدر.

قال الحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ: لَمَّا سَمِعْتُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذْتُ أَتَحَرَّى عَنْ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَصِفَاتِهِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ وَأَطَابِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا هُوَ مَسْطُورٌ (مكتوب) عِنْدَنَا فِي الْكُتُبِ حَتَّى اسْتَيْقَنْتُ مِنْ نُبُوتِهِ، وَتَثَبَّتُ مِنْ صِدْقِ دَعْوَتِهِ ثُمَّ كَتَمْتُ ذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ، وَعَقَلْتُ (ربطت ومنعت) لِإِسَانِي عَنِ التَّكَلُّمِ فِيهِ، إِلَى أَنْ كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ قَاصِداً الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ يَثْرِبَ وَنَزَلَ بِقُبَاءَ (قرية على بعد ميلين من المدينة) أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْنَا وَجَعَلَ يَنَادِي فِي النَّاسِ مُعَلِّناً قَدُومَهُ، وَكُنْتُ سَاعَتِئذٍ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا، وَكَانَتْ عَمَتِي خَالِدَةُ بَنَتْ

كَانَ الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ حَبِراً رَئِيسَ الْكَهَنَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ، وَالْحَبِرُ: الْعَالِمُ الْمُتَبَحِّرُ فِي الْعِلْمِ أَيْضاً) مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فِي يَثْرِبَ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِلْلِهِمْ وَنِحْلِهِمْ (أديانهم) يُجْلُونَهُ وَيُعْظَمُونَهُ، فَقَدْ كَانَ مَعْرُوفاً بَيْنَ النَّاسِ بِالتَّقَى وَالصَّلَاحِ وَمَوْصُوفاً بِالِاسْتِقَامَةِ وَالصِّدْقِ.

كَانَ الْحُصَيْنُ يَحْيَا حَيَاةً هَادِئَةً وَادِعَةً، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ جَادَةً نَافِعَةً، فَقَدْ قَسَمَ وَقْتَهُ أَقْسَاماً ثَلَاثَةً: فَشَطَرُ فِي الْكَنِيسِ (معبد اليهود) لِلْوَعْظِ وَالْعِبَادَةِ، وَشَطَرُ فِي بُسْتَانٍ لَهُ يَتَعَهَّدُ نَخْلَهُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّابِيرِ (تلقيح النخل وإصلاحه)، وَشَطَرُ مَعَ التَّوَرَةِ (الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام) لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ...

وَكَانَ الْحُصَيْنُ كُلَّمَا قَرَأَ التَّوَرَةَ وَقَفَ طَوِيلًا عِنْدَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُبَشِّرُ بِظُهُورِ نَبِيِّ فِي مَكَّةَ يُتِمُّ رِسَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَيَخْتِمُهَا، وَكَانَ يَسْتَقْصِي أَوْصَافَ هَذَا النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ وَعِلَامَاتِهِ، وَيَهْتَرُ فَرَحاً لِأَنَّهُ سَيَهْجُرُ بِلَدِهِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ، وَسَيَتَّخِذُ مِنْ يَثْرِبَ مَهَاجِراً لَهُ (بفتح الجيم مكاناً لهجرته) وَمُقَاماً، وَكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ أَوْ مَرَّتْ بِخَاطِرِهِ

إسلامي وإسلامكم عن اليهود حتى أَذَنَ لَكُمْ!! فقالوا: نعم. ثم رجعتُ إلى رسول الله ﷺ وقلتَ له: يا رسول الله، إِنَّ اليهود قَوْمٌ بُهْتَانٍ وَبَاطِلٍ، وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَدْعُو وَجُوهَهُمْ (سادتهم) إِلَيْكَ، وَأَنْ تَسْتُرَنِي عَنْهُمْ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرَاتِكَ، ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ مِنْ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، ثُمَّ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا أَنَّي أَسْلَمْتُ عَابُونِي، وَرَمَوْنِي بِكُلِّ نَاقِصَةٍ وَبُهْتُونِي. فَأَدْخَلَنِي رسول الله ﷺ فِي بَعْضِ حُجْرَاتِهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَأَخَذَ يَحْضُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ. فَجَعَلُوا يَجَادِلُونَهُ بِالْبَاطِلِ وَيَمَارُونَهُ فِي الْحَقِّ وَأَنَا أَسْمَعُ، فَلَمَّا يَبْسُ مِنْ إِيْمَانِهِمْ قَالَ لَهُمْ: «مَا مَنْزِلَةُ الْحَصِينِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ؟» فقالوا: سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَحَبْرُنَا وَعَالِمُنَا وَابْنُ حَبْرِنَا وَعَالِمِنَا. فقال: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ أَفَتَسْلَمُونَ؟». قالوا: حَاشَا لِلَّهِ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ... أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يُسْلِمَ. فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ. فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَتَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ. وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَوْفَى بِهِ، وَأَصْدَقُّهُ، وَأَعْرِفُهُ، فقالوا: كَذِبْتَ. وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَجَاهِلُنَا وَابْنُ جَاهِلِنَا، وَلَمْ يَتْرَكُوا عِيْباً إِلَّا عَابُونِي بِهِ. فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

الْحَارِثُ جَالِسَةً تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَمَا إِنْ سَمِعْتُ الْخَبَرَ حَتَّى هَتَمْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ.... اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَتْ لِي عَمَّتِي حِينَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي: خَيْبِكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ قَادِمًا مَا فَعَلْتُ شَيْئاً فَوْقَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيَّ عَمَّةٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ أَخُو مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَعَلَى دِينِهِ، وَقَدْ بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ، فَسَكَتَتْ وَقَالَتْ: أَهْوِ النَّبِيُّ الَّذِي كُنْتُمْ تُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ يُبْعِثُ مُصَدِّقاً لِمَنْ قَبْلَهُ وَمُتِمِّمًا لِرِسَالَاتِ رَبِّهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَذَلِكَ إِذَنْ، ثُمَّ مَضَيْتُ مِنْ تَوَيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَزْدَحِمُونَ بَبَابِهِ، فَزَاخَمْتُهُمْ حَتَّى صِرْتُ قَرِيباً مِنْهُ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَوْلُهُ: "أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"، فَجَعَلْتُ أَتَفَرَّسُ فِيهِ، وَأَتَمَلَّى مِنْهُ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَابٍ، ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ، وَشَهِدْتُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَالْتَقَيْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقُلْتُ: الْحَصِينُ بْنُ سَلَامٍ. فَقَالَ: «بَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ». فَقُلْتُ: نَعَمْ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ... وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهِ اسماً آخَرَ بَعْدَ الْيَوْمِ. ثُمَّ انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِي وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي وَأَهْلِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً وَأَسْلَمْتُ مَعَهُمْ عَمَّتِي خَالِدَةُ، وَكَانَتْ شَيْخَةً كَبِيرَةً، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لَهُمْ: اكْتُمُوا

ألم أقل لك: إن اليهود قومٌ بُهتانٍ وباطلٍ، وإنهم أهلٌ غدرٍ وفجورٍ؟

أقبلَ عبدُ الله بنُ سلامٍ على الإسلامِ إقبالَ الظامئ الذي شاقه الموردُ (لذَّ له المورد وطاب)، وأولعَ بالقرآن؛ فكان لسانُه لا يفتأ رطباً بآياته البينات، وتعلق بالنبِيِّ صلواتُ الله وسلامُه عليه حتى غدا ألزمَ له من ظله، ونذرَ نفسه للعملِ للجنةٍ حتى بَشَّرَه بها رسولُ الله صلواتُ الله وسلامه عليه بشارَةً ذاعت بين الصَّحابة الكرام وشاعت، وكان لهذه البشارة قصةً رواها قيسُ بنُ عبادةٍ وغيره.

قال الراوي: كنت جالساً في حلقةٍ من حلقاتِ العلمِ في مسجدِ رسولِ الله في المدينة، وكان في الحلقة شيخٌ تأنسُ به النفسُ ويستروحُ به القلب، فجعل يحدثُ الناسَ حديثاً حلواً مؤثراً، فلما قام قال القوم: من سرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنةِ فليُنظر إلى هذا. فقلت:

من هذا؟ فقال: عبدُ الله بنُ سلام، فقلتُ في نفسي: والله لأتبعنه؛ فتبعته؛ فانطلق حتى كاد أن يخرجَ من المدينة، ثم دخلَ منزله، فاستأذنتُ عليه؛ فأذن لي، فقال: ما حاجتك يا بن أخي؟ فقلت: سمعتُ القوم يقولون عنك لما خرجت من المسجد: من سرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنةِ فليُنظر إلى هذا. فمضيتُ في إثركَ، لأقف على خبركَ، ولأعلمَ كيف عرَّفَ الناسَ أنك من أهل الجنة. فقال: الله أعلمُ بأهل الجنةِ يا بُني. فقلت: نعم...

ولكن لا بد لما قالوه من سبب. فقال: هات، وجزأك الله خيراً. فقال: بينما أنا نائمٌ ذات ليلةٍ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أتاني رجلٌ فقال لي: قم، فقمْتُ، فأخذ بيدي، فإذا أنا بطريقٍ عن شمالي فهمتُ أن أسلكَ فيها.

فقال لي: دَعها فإنها ليست لك. فظنرتُ، فإذا أنا بطريقٍ واضحةٍ عن يميني، فقال لي: اسلكها فسلكتُها حتى أتيتُ روضةً غناءً واسعةً الأرجاء كثيرةَ الخضرةِ رائعةِ النضرة، وفي وسطها عمودٌ من حديدٍ أصلُه في الأرض ونهايته في السماء، وفي أعلاه حلقةٌ من ذهب. فقال لي: ارقُ عليه. فقلت: لا أستطيع. فجاءني وصيفٌ (الخادم) فرَفَعني، فرقيتُ (فصعدت) حتى صرْتُ في أعلى العمود، وأخذتُ بالحلقةِ بيدي كليهما. وبقيتُ مُتعلِّقاً بها حتى أصبحتُ.

فلما كانت الغداةُ أتيتُ رسولَ الله ﷺ وقصصْتُ عليه رؤيائي فقال: «أما الطريقُ التي رأيتها عن شمالِكَ فهي طريقُ أصحابِ الشمالِ من أهل النار. وأما الطريقُ التي رأيتها عن يمينِكَ فهي طريقُ أصحابِ اليمينِ من أهل الجنة. وأما الروضةُ التي شاقَّكَ بخضرتها ونضرتها فهي الإسلام. وأما العمودُ الذي في وسطها فهو عمودُ الدين. وأما الحلقةُ فهي العروة الوثقى، ولن تزال مُستمسكاً بها حتى تموت» □

بسم الله الرحمن الرحيم

١- قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ: انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةِ مِائَةِ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ : الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ ، كَانَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ ، يَصُومُ حَتَّى يَخْضِرَ جَسَدُهُ وَيَصْفَرَّ .وَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ لَهُ: لَمْ تُعَذِّبْ هَذَا الْجَسَدَ هَذَا الْعَذَابَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ ، وَكَرَامَةُ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ ، فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ؟ فَقَالَ: وَمَالِي لَا أَجْزَعُ، وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي؟ وَاللَّهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا صَنَعْتُ، إِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ، فَيَعْفُو، فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيَا مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ.

٢- قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي مَقْدَمَتِهِ :يَحْكِي أَنَّ الزَّهْرِي دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَسَأَلَهُ : مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ يَا زَهْرِي؟

قَالَ: مِنْ مَكَّةَ . قَالَ: فَمَنْ خَلَفْتَ يَسُودَ أَهْلِهَا؟ قَالَتْ: عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي. قَالَ: فَبِمَ سَادَهُمْ؟ قَالَ: بِالْذِيانَةِ وَالرَّوَايَةِ. قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الذِيانَةِ وَالرَّوَايَةِ لَيَنْبَغِي أَنْ يَسُودُوا.

قَالَ: فَمِنْ يَسُودُ أَهْلَ الْيَمَنِ؟ قَالَتْ : طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي. قَالَ: وَبِمَ سَادَهُمْ ، قَالَتْ: بِمَا سَادَهُمْ بِهِ عَطَاءُ ، قَالَ إِنَّهُ لَيَنْبَغِي ، قَالَ: فَمِنْ يَسُودُ أَهْلَ مِصْرَ؟ قَالَتْ: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي.

قَالَ: فَمِنْ يَسُودُ أَهْلَ الشَّامِ؟ قَالَتْ: مَكْحُولٌ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي ، أَعْتَقْتَهُ امْرَأَةً مِنْ هَذِيلٍ.

قَالَ: فَمِنْ يَسُودُ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ؟ قَالَ: مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي.

قَالَ: فَمِنْ يَسُودُ أَهْلَ خُرَاسَانَ؟ قَالَتْ: الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ. قَالَ: فَمِنْ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَتْ: مِنَ الْمَوَالِي.



قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: الحسن البصري. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي.

قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قال: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب.

قال: ويلك يا زهري فرّجت عني. والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يُخطب لها على المنابر والعرب تحتها.

قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط.

٣- يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً ولا يذكر الله إلا هجراً. وأعظمُ الخطايا الكذب. ومن يعفُ الله عنه. ومن يكظم الغيظَ يأجره الله. ومن يغفر يغفر الله له. ومن يصبر على الرزية يعقبه الله. وشرُّ المكاسب كسبُ الربا، وشرُّ المآكل مالُ اليتيم، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره. وملاكُ العملِ خواتمه، وأشرفُ الموت قتلُ الشهداء. ومن يستكبر يضره الله، ومن يعص الله يُطع الشيطان.

٤- قيل للحسن البصري: ما سر زهدك في الدنيا؟ فقال: علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي له، وعلمت بأن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن أقابله على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله.

٥- وقال: حملة القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به عطف الولاة واستطال به على الناس، ورجل علم ما فيه وحفظه وعمل به داعياً وعابداً وهو خير الحملة.

٦- يقول الحسن بن أبي الحسن البصري (تفقدوا الحلاوة في ثلاث، الصلاة والقرآن والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة) □



سوريا بين "المجلس الوطني" و "الائتلاف الوطني"

كشف الدكتور برهان غليون أول رئيس للمجلس الوطني السوري (تشكل في تشرين الأول ٢٠١١م) في لقاء له مع موقع الجمهورية للدراسات (نشر في ١٨ شباط ٢٠١٣م) مجموعة من النقاط المحورية المتعلقة بمسيرة الثورة في سوريا نسلط الضوء على بعض أهمها.



- تحولت الثورة السورية من ثورة شعب ضد طاغية من أجل الكرامة والحرية إلى مناسبة لتصفية الحسابات، ورسم أو إعادة رسم دوائر النفوذ الإقليمية والدولية. لذلك ارتبط مصير الثورة ضد الطاغية بمصير التنافس بين الأطراف المختلفة المتنازعة على السيطرة على سورية. ما يعني أن التقدم في اتجاه إسقاط النظام لم يعد ممكناً من دون التوصل المسبق إلى تفاهم إقليمي ودولي.

- كانت دول الخليج حتى الآن مصدر الدعم الأساسي في المال والسلاح للثورة، بغية تقليص المطامع الإيرانية ليعيدوا التوازن في العلاقات الإقليمية. فيما يستند النظام إلى المعونة الإيرانية والروسية لاستمراره.

- يتمثل التحدي الكبير في استعادة سيطرتنا على مصيرنا وانتزاعه من أيدي الدول المتصارعة على تقاسم أشلائنا، والحفاظ على إرثنا ووحدة البلاد والشعب.

- تشكل المجلس الوطني في أعقاب انتصار التدخل العسكري الدولي في ليبيا. وكان تدخل مشابه لكنس نظام صدام حسين في العراق. وكان جزء كبير من الرأي العام الثوري يتوقع أن يكون تشكيل المجلس الوطني مقدمة لتدخل مشابه يضع حداً للعنف غير المسبوق الذي استخدمه النظام ضد المدنيين، بل هذا هو المبرر الوحيد لتشكيل المجلس. وهو الذي دفع المعارضين لمثل هذا التدخل إلى اتهام المجلس بالتعامل مع الدول الأجنبية ورفضهم الدخول فيه. وكان ذلك من أسباب إضعافه أيضاً تجاه الرأي العام السوري والدول الأجنبية الصديقة أيضاً.

- الائتلاف الوطني، بعكس المجلس الوطني، هو واجهة للعمل الدبلوماسي. هكذا تكوّن، وهكذا أريد له أن يكون. وقد مال بسرعة إلى وظيفته كما هو واضح بعد فترة قصيرة من تكوينه. وقد كوّن المجتمع الدولي لأنه يريد مفاوضات، ولا يريد التدخل مهما حصل.

- نحن الآن أمام نظام ينفجر ويفجر البلد معه، ونظام لم يولد بعد أو لم تتبلور ملامحه. ليس لدى الثورة إعلام ولا برنامج ثقافي للرأي العام، ولا تنظيم للكثائب يليق بثورة قدمت حتى الآن أكثر من مئة وخمسين ألف شهيد على أقل تقدير. ونحن الآن نعيش بداية الانقسام والنزاع الأيديولوجي. الإسلاميون يخافون من العلمانيين والعلمانيون يخافون من الإسلاميين لأدنى خلاف، والإسلاميون يخافون من إسلاميين مختلفين عنهم، والعلمانيون أيضاً منقسمين إلى علمانيين معتدلين ومتطرفين. لا أحد يشعر بالراحة والثقة مع أحد.

- الحاسم في مصير الثورة لن يكون الائتلاف ولا أصحابه وإنما المقاتلون على الأرض، على شرط بلورة استراتيجية فعالة لتوحيدهم وتنظيمهم وتمكينهم من وسائل النصر.

دور بريطانيا في الصراع على سوريا

تم تصوير النظام السوري بأنه نظام قومي مقاوم للمشاريع الاستعمارية التي تقودها أميركا، مع أنه كان مجرد إحدى أدوات تنفيذ مخططاتها في المنطقة، وأن معسكر المقاومة الذي يتألف من إيران وسوريا ولبنان إنما هو مجرد خديعة تم تركيبه في سياق صراع دولي، صنعته أميركا على عين بصيرة لثمتين نفوذها في المنطقة. وكان المنافعون عن النظام يؤولون كل الشواهد الدالة على ارتباط النظام السوري بأميركا بحجج واهية بعيداً عن واقعها، وكان الناس يستقبلون ذلك لشدة التضليل الفكري والإعلامي والسياسي في هذا الشأن.

إلا أن ما جرى في السنتين الأخيرتين في سوريا أظهر محاولات أميركا الحثيثة للحيلولة دون إسقاط النظام السوري عسكرياً ورفضها مراراً تكرار السيناريو الليبي في سوريا، وسماحها لإيران وروسيا بمساندة النظام بكل أشكال المساعدة فيما تحظر السلاح بكافة أنواعه عن الثائرين، مما كشف حقيقة ارتباط النظام السوري بأميركا، وأن كل ما تم تصويره من عداء بينهما إنما هو من باب الدعاية المزيفة والخادعة، كي يتمكن النظام من أداء دوره في خدمة السياسة الأميركية في المنطقة، التي كانت سابقاً تحت هيمنة بريطانيا وفرنسا، وسلبتها أميركا إياها، لأهميتها

الاستراتيجية سياسياً وجغرافياً ومادياً. إلا أن أوروبا ممثلة ببريطانيا وفرنسا قررت أخيراً استعادة ما تم استلابه منها، أو على الأقل أن ترجع شريكة أساسية فيه، بخاصة بعد أن فشلت محاولات أميركا للتفرد في القرار الدولي عقب أحداث ١١ سبتمبر وحربي العراق وأفغانستان والأزمة المالية العالمية التي تسببت فيها أميركا للعالم.

وقد جاءت تصريحات الرئيس الأسد مؤخراً لصحيفة صنداي تايمز البريطانية لتضيء دور بريطانيا المباشر بما يجري من صراع في سوريا، حيث ذكر أنها تقود مشروعاً لإسقاط نظامه بالقوة العسكرية، وأن الحكومة البريطانية تستمر في دفع الاتحاد الأوروبي لرفع حظر توريد السلاح المفروض على سورية وذلك للشروع بتزويد المجموعات المسلحة بأسلحة ثقيلة. كما أشار إلى أن المجموعات المقاتلة ضد نظامه يتم تمويلها بشكل رئيس من قطر والسعودية (وهي دول تابعة لبريطانيا)، مضيفاً «إذا أرادت الأطراف الخارجية فعلاً المساعدة في العملية السياسية، ينبغي أن تضغط على تلك البلدان للتوقف عن تزويد أولئك الإرهابيين بالمال والسلاح».

وأوضح الأسد أنه «ليس هناك أي اتصالات بين سورية وبريطانيا منذ وقت طويل.. كما اشتهرت بريطانيا بلعب دور غير بناء في مختلف القضايا وعلى مدى عقود في المنطقة، وبعضهم يقول قرون .. وبأن مشكلة الحكومة البريطانية تتمثل في بروز هذا الإرث من الهيمنة عليها». مؤكداً «أقول هذا بصراحة. كيف يمكن توقُّع أن نطلب من بريطانيا أن تلعب دوراً في حين أنها مصممة على عسكرة المشكلة؟ كيف يمكن أن نطلب منهم أن يلعبوا دوراً في جعل الوضع أفضل وأكثر استقراراً، وكيف يمكن أن نتوقع منهم تخفيف حدة العنف، في حين أنهم يريدون إرسال المعدات العسكرية «للإرهابيين» ولا يحاولون تسهيل الحوار بين السوريين؟ هذا غير منطقي!»

